عن العراق والحركة الاسلامية

حوارات مع العلامة محمد تقي المدرسي

إعداد
توفيق الشيخ

الصفا للنشر والتوزيع
لندن

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

AL-SAFA PUBLISHING AND DISTRIBUTION LIMITED
SW 9 OBE, P.O. Box 951, Tel: 01 - 737 50821
LONDON - ENGLAND

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

في بداية عقد الثمانينات، والثورة الاسلامية في ايران، لا تزال فتية كان الكل يتساءل: اين ستحط الثورة الاسلامية رحالها بعد ايران، اي دولة في الشرق الاوسط ستكون ايران الثانية، مجلة الريدرز دايجست الامريكية الواسعة الانتشار اعتبرت ان الوقت ما زال مبكراً لاصدار حكم في هذا الشأن، رغم انها نشرت تحقيقاً مفصلا عن احتمالات الثورة في السعودية، وكان ذلك التحقيق موضوعاً مثيراً للغلاف الذي زينته صورة للحرم المكي كتب تحته بالخط العريض، «Saudi Arabia: Next Iran» (السعودية: هل ستكون ايران القادمة؟). محلّلون آخرون بذلوا جهداً كبيراً للتعرف على الظروف الموضوعية التي قامت في سياقها الثورة الاسلامية في ايران، كخطوة تمهيدية لمعرفة البلدان الاخرى التي تتوفر فيها ذات الظروف وبالتالي احتمالات الثورة، وبالقطع فإن محللي الصحف بذلوا جهداً اقل من ذلك الذي بذلته المخابرات الغربية وبالاخص الامريكية CIA التي انشأت جهازاً خاصاً لدراسة اوضاع المعارضة الدينية في الشرق الاوسط، واحتمالات تطور الحالة الاسلامية الى ثورة شعبية كتلك التي صدمت الغرب في الساحل الشرقي للخليج، الخليج دائماً، حيث تنطوي كثبان الرمال على نصف احتياطي العالم من البترول عصب الحياة ورهان الرفاهية للعالم الصناعي.

اليوم والثورة الاسلامية في ايران تطرق بثقة وثبات ابواب العقد الثاني من عمرها المديد ـ باذن الله ـ فان الرهان متوجه بالخصوص الى جارتها اللدودة ـ العراق.

ان سقوط النظام الحاكم في العراق دخل في قائمة الانتظار ولم يعد يفصلنا

عنه سوى بعض الوقت لقد حان الوقت ـ هكذا صرح مستشار الرئيس الامريكي لشئون الامن القومي روبرت ماكفارلين ـ لقد حان الوقت للاعلان بان سقوط النظام العراقي امر مفروغ منه والمسألة مسألة وقت ليس الا ، وقد حان الوقت لاعادة ترتيب الاوراق في الشرق الاوسط ، فلتتعاون دول المنطقة في انجاز التغيير المطلوب لتتعاون مع العواصم ذات الاهتمام بمصالحها في الشرق الاوسط ، يجب ان تتغير المعادلة ، أن يطاح برأس النظام العراقي في سبيل المحافظة على الدولة العراقية قبل أن تطيح به وبالدولة رياح الثورة الاسلامية العاتية ، ويومها لن يكون العراق حاجزاً يمنع انتشار الثورة الاسلامية الى الشرق الاوسط ، بل سيكون جسراً يحمل تلك الثورة بعناصرها المادية والروحية ، واذ ذاك فالويل الويل للغرب ولما صنع .

العراق إذن ، وليس غيره سيكون ايران الثانية بين الأنظمة الكارتونية في هذه المنطقة .

★ ★ ★

لأن العراق كذلك فالمؤامرة عليه اكبر من اي مؤامرة اخرى في اي بلد آخر ، اذ لم يحظ نظام من قبل بمثل ما حظي به النظام العراقي من دعم ومساندة وحماية وحرس شرف مالي واعلامي وعسكري ، لم يتفق المعسكران الاشتراكي والراسمالي على قضية كما اتفقوا على امداد النظام العراقي باسباب الحياة والاستمرار في السيطرة. وهذا بالذات هو سر المأساة التي يتجرع مرارتها شعب العراق ، ففي ظل نظام قمعي استبدادي لم يعد امام الانسان العراقي سوى الفرار من الوطن والا فمواجهة الموت ، ان لم يكن في محرقة الحرب المجنونة ـ الحرب بالوكالة التي شنها صدام على الجمهورية الاسلامية لحساب الآخرين ـ ففي الزنازين الحالكة الظلام ، هناك وسط رمال الصحراء في ابو غريب ، او في المباني الموحشة لدوائر المخابرات حيث الداخل مفقود والخارج مولود ، واذا اختار المواطن الكرامة فتكفيه رصاصات على باب منزله او حتى في وسط

الشارع في وضح النهار.

لا غرابة في هذا الامر على الاطلاق... الغريب فقط هو ان يعيش الانسان محتفظاً بكرامته في هذا البلد الذي تحول كله، جبله وباديته، اهواره وبساتينه الى سجن كبير... كبير.

لم يعد هنالك حد بين الحقيقة والتوقع، ان شك الانسان في بقائه حيا ينقلب بين عشية وضحاها الى يقين بالعدم، احتمالات الحياة تنخفض عند كثيرين من الناس الى نقاط قريبة من الصفر، عندها تصبح الحياة لعبة كبيرة تبدأ بالآمال ثم تصبح عبثاً سمجاً مملاً، ويكون الهروب غاية ما يسعى اليه الانسان، ولعل البعض تمنى في لحظات التعاسة رصاصة من تلك التي انهت حياة الكثيرين، رصاصة تريحه من فراغ الروح، وعجز الارادة وتوقف الفكر، ماذا يفعل الانسان اذا حوصر بين خيارين، ان يموت جسداً او ان يموت روحاً وشخصية.

ما فعله النظام العراقي ليس القتل فقط، فرصاص الجلادين لا يكفي لقتل الشعب كله، ما فعله كان أنكى من ذلك واشد ايلاماً، تدمير الشخصية، تسفيه الاحلام، تحطيم الكبرياء، اجبار الناس على التخلي عن حرماتهم وعن كراماتهم من اجل ان يحيا الجسد، من اجل كسرة خبز وجرعة ماء.

وفي البداية كان الفرار الكبير، ان مليون عراقي على الاقل هم الآن في المهاجر وهناك من يقول بان عددهم يصل الى المليونين، سوف تراهم في كل بقعة من هذه الارض غربها وشرقها، سوف ترى في كل واحد منهم تجسيداً لمأساة شعب ذاق ما لم يذقه شعب آخر على مر التاريخ، ان مليون مهاجر يعني بالضبط مليون حالة مأساوية، لن تجد فيهم واحداً لم يصادر بيته، او يسجن والداه، او يذبح اخوته او تنتهك حرمة اخواته، مليون مأساة.. تلك هي المسألة.

أي وطن هذا الذي يهرب عشر مواطنيه، واي نظام هذا الذي يفر منه كل هؤلاء، اي شرعية لنظام كهذا واي مأساة.

★ ★ ★

في البداية كان الهروب الكبير، واحد من كل عشرة فرّ بجلده من الوطن ـ السجن، لكنه ليس الفرار الاخير، إنه البداية ثم يعاود الهاربين خيال العودة، من ذا الذي ذاق حلاوة الوطن فاستراح الى الغربة، كيف والغربة هنا غربتان، غربة الاهل وتفرد المأساة، ثم انكار الأقربين والأبعدين، ثم اين يستريح الغريب اذا اراد ان يحزن، والغربة كلها حزن وحزن الغرباء مذلة.. اين منه ضريح الحسين ليحتضنه، أم أين نخيل الفرات ليبثها همومه، اين يذهب الشاعر اذا حاصرته شياطينه وليسَ في الغربة دجلة، وليس فيها موكب العزاء، وليس فيها صدر أم تتلفح ملاءتها ساحبة اياه من اطرافه الى صحن مرقد العباس، هناك حيث الاتصال بالمطلق، هناك حيث اصوات المناجاة تتوالى في موكب سماوي متصاعد كقبضة النور تنطلق ثم تذهب متعامدةً في الافق البعيد، هناك حيث الرهبة لها لون القداسة وحيث الروح تجد في كل مكان ملجأ ومراحاً.

أوَ ينسى العراقي عراقه؟ أوَ ينسى كربلاء؟ أينسى عاشوراء؟

في المرحلة الثانية.. كان التئام الجرح وكان تفاعل الحزن بالامل، الغضب بالارادة، ثم الانطلاق الجديد، ومن رحم المأساة ولدت حركة اسلامية عميقة جذورها بقدر ما المأساة عميقة في صميم الروح، ولدت تعبيراً عن تاريخ طويل من القهر والكبت.. والكبرياء الجريحة.

وبقدر ما كانت مأساة العراق كبيرة كانت الحركة وكانت التجربة.

إن الجهاد في ظروف كظروف العراق هو تجربة فريدة جديرة بان تسجل وبأن تدرس ولعل امام الاسلاميين في اماكن اخرى تجارب أخرى في المستقبل شبيهة بتجربة العراق، لذلك فاللازم مطالعة هذه التجربة والاعتبار بدروسها وحري بنا ـ لنكون مؤمنين ـ ان لا نلدغ من هذا الجحر مرة اخرى.

تعتبر الحركة الاسلامية العراقية واحدة من ابرز معالم العصر الاسلامي الجديد من حيث اتساع تأثيرها الافقي وتداخلها مع معادلات اقليمية ودولية كبرى، ومن حيث طبيعة الصراع التي تخوضه وطبيعة النظام الذي تصارعه ثم من حيث انها نمت وتبلورت في ظل حرب شرسة ومدمرة لا تزال عواصم

الدول الكبرى ـ كما الصغرى ـ تمدها بالوقود لتبقى مشتعلة الاوار على امل ان تحرق الشجرة الطيبة التي نبتت من دماء شهداء الاسلام على ارض ايران الطاهرة. وفي هذا السياق تميزت الحركة الاسلامية العراقية بالتنوع في الطروحات وفي اساليب العمل كما خاضت مختلف الميادين فهي حاربت على الجبهة كالجيوش النظامية، وحاربت في داخل الوطن حرب عصابات، كما مارس بعضها، ولفترة العمل الثوري على النطاق الدولي، وقام اكثر فصائلها بالعمل السياسي والاعلامي؛ ونتيجة لهذه الممارسات المختلفة فقد تكون لديها رصيد ضخم من التجارب في الميدان العسكري وفي بناء الكادر الحركي كما في التعبئة الجماهيرية، اضافة الى انها تفاعلت مع الثورة الاسلامية في ايران واستفادت الى حد كبير من تجربتها الفذة في اسقاط الدولة، ثم في بناء الدولة البديلة، وفي مواجهة العدوان رغم الحصار ورغم العداء الدولي الصريح والضمني.

⋆ ⋆ ⋆

والحركة الاسلامية العراقية على ما فيها من عظمة فهي مظلومة.. مظلومة بكونها محاصرة اعلاميا ومحاصرة سياسيا، ونادراً ما تجد دولة تعترف بها كقوة مؤثرة، رغم انها في الحقيقة اقوى من ان تتجاهل، هنا في الشرق الاوسط كما في الغرب اتفاق ضمني على منع الحركة الاسلامية العراقية من الوصول الى وسائل الاعلام او منتديات السياسة، فعلى الرغم من اهمية الاعمال التي تقوم بها، واهمية ما تتركه من تأثير على المعادلات الحاكمة في الشرق الاوسط الا ان الصحافة العالمية لا تنشر لها رأياً او موقفا ولا تنشر عنها خبراً، وهذا ما جعل المسلمين فضلاً عن غيرهم يجهلون واقع هذه الحركة وبطبيعة الحال لا يستفيدون من تجربتها، ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب.

هذا الكتاب كان في البداية مشروعاً لطرح الحركة الاسلامية العراقية من مختلف جوانبها وعلى لسان قادتها دون تدخل مني، وكانت فكرة المشروع

تراودني منذ بضعة اعوام، لكن التوفيق لم يحالفني في تحقيقها طيلة تلك الفترة الى ان وجدت امامي العلامة المدرسي ووجدت ان في داخلي ما يسوقني الى طرح المشروع والبدء في تنفيذه فكانت البداية معه، ثم لما بدأت وجدت عنده الكثير مما كنت ابحث عنه، وللحق فأن جانبا من الجلسات الكثيرة التي عقدتها للحوار معه كان يدور حول مسائل اردت التعرف عليها لنفسي، قد لا تكون لها اي علاقة بقضية العراق ـ محور المشروع ـ امتدت تلك الجلسات احيانا لعدة ساعات، ولأن الظروف لم تكن مواتية دائما فقد كان يفصل بين جلسة واخرى عدة اشهر في اكثر الاحيان، ثم اني وجدت للسيد المدرسي اراء منشورة في مقابلات سبق ان اجرتها معه صحف مختلفة فجمعتها ونقحتها واضفتها الى ما حصلت عليه من حوارات، فجاء هذا الكتاب على هذه الصورة.

الحوار لما يكتمل.. لا تزال في جعبتي عشرات من الاسئلة لكني خشيت ان لا يرحمني الزمن، والزمن لا يرحم فاخترت تقديم ما جمعته للقارىء بدل انتظار الكمال ـ ولو كنت لاحاول الكمال لما انجزت شيئاً ـ كما قال الحكيم الصيني.

ستكون المرحلة الثانية من المشروع ـ اذا وفقني الله للاستمرار ـ هي تكملة الحوار مع قادة آخرين للحركة الاسلامية العراقية واني لأرجو ان اجد لديهم من سِعة الصدر ما وجدته لدى الاستاذ المدرسي الذي اعطاني من وقته الثمين ما لا اظنني استحقه، كما اعطاني ـ واعطى القارىء ـ من ثمرات فكره الواسع ما ارجو ان يكون عبرة لي ولغيري وذخراً له يوم يلقى ربه.

★ ★ ★

يتكون الكتاب الذي جاء بكامله حواراً من قسمين رئيسيين تناول الاول قضية العراق من جوانبها المختلفة مركّزاً على المعارضة الاسلامية واقعها وطموحاتها وهمومها ومشكلاتها، كما بحث القسم الثاني القاعدة الثقافية والفكرية لهذه الحركة، وهي بالطبع قاعدة مشتركة بينها وبين سائر الحركات الاسلامية في اي مكان، وسيجد القارىء في كلا القسمين رؤى عميقة وملامسة

للواقع كما هو وكما يجب ان يكون، ولعل البعض ينكر على الاستاذ المدرسي اهتمامه بالبحث عن الاصول الفكرية والنظرية لقضايا يومية حدثية الطابع، الا انه يشعر بان التعامل مع مثل هذه الاحداث لن يكون صائباً الا اذا انطلق من فهم واضح لاصولها وكيفية تكون المعادلة التي جاء الحدث في سياقها «ان حياتنا التي نعيشها وعلاقاتنا ومواقعنا في النظام الاجتماعي، وموقع مجتمعاتنا في النظام الدولي.. ليس نتاجاً لحركة نقوم بها اليوم، إن ما نفعله هو استمرار وتكريس لمعادلة حيوية قامت منذ امد بعيد واشترك في صناعتها الاستعمار مع القوى المتخاذلة والمستسلمة التي كانت حاكمة في مجتمعاتنا»، يقول الاستاذ المدرسي «ومن اجل ذلك فان تعديل مجريات حياتنا، دخولنا في مسارب التقدم يستدعي تنظيف دواخلنا من عناصر التخلف، وتحطيم هيكل التخلف الذي نعيش في ظله، هذا الامر لا يحتاج الى مجرد الاعتراف بكوننا متخلفين بل بتغيير شامل وجذري فينا كأشخاص وفي مجتمعاتنا كنظام علاقات وتوزيع قوى وطرائق معينة في الحياة والمعيشة والتفكير».

كيف اقدم العلامة المدرسي للقارىء؟ بل من اي زاوية اقدمه؟ فهو شخص متعدد الابعاد متعدد الاهتمامات متعدد المواهب، واظن ان احاديثه التي جمعتها بين دفتي هذا الكتاب هي خير تقديم له على ان تعريفاً بشخصه يبدو لازما، فلا بد ان القارىء سيعتبرها قلة لياقة لو لم أعرّفه بمن سيقرأ.

العلامة السيد محمد تقي المدرسي مفكر له عديد من الابحاث في الفقه الاسلامي وفي علوم القرآن وفي شؤون الحركة الاسلامية، من ابرز كتبه «من هدي القرآن» وهو تفسير كامل للقرآن الكريم حاول من خلاله ان يكشف عن العلاقة بين القرآن الكريم وبين الزمن الذي نعيشه انطلاقاً من الحديث الشريف «لا تفسروا القرآن فان الزمان يفسره» كما كتب عن الفلسفة الاسلامية كتاب «العرفان الاسلامي» وعن العقيدة المقارنة «الفكر الاسلامي» وفي شؤون الحركة الاسلامية «البعث الاسلامي» و «العمل الاسلامي» وله كتب اخرى كثيرة، اضافة لكونه محاضراً معروفاً في الاوساط الاسلامية.

وقد قدم حتى الآن عدداً من المحاضرات مسجلة على ما يزيد عن الفي شريط تتضمن مجموعة كاملة حول الحركة الاسلامية بعنوان « افاق الحركة الاسلامية » واخرى فلسفية في ثلاثين محاضرة اضافة الى تفسير القرآن.

على الصعيد السياسي يعتبر العلامة المدرّسي مرشداً للعديد من التنظيمات الثورية العاملة في الساحة الاسلامية، كما ان تنظيمات اخرى تعتمد ابحاثه كجزء من برنامجها الخاص بتربية الاعضاء وتثقيفهم حركيا، وعلى الرغم من بروزه بدرجة رئيسية في الساحة العراقية الا ان نفوذه وتأثيره الفكري يصل الى نقاط بعيدة جداً من الوطن الاسلامي، وهو لذلك يتجاوز - حجماً وتأثيراً - ساحته الاساسية (العراق) ليبرز كواحد من الشخصيات المعروفة في اوساط الحركة الاسلامية العالمية.

وأخيراً فان حياة الاستاذ المدرّسي الحافلة حملته الى بقاع شتى من العالم الاسلامي عاش في كل منها ردحاً من الزمن وتبلورت من خلال اختلاطه بالاجناس المختلفة من الناس رؤاه في العمل والحياة، كما ان علاقاته الواسعة وتواصله بطائفة كبيرة من المشتغلين بالعمل الاسلامي والشخوص البارزة في الحركة الاسلامية جعلته متميزاً بالتجدد في الفكر والتواصل مع مجريات الأحداث في العالم الاسلامي، ومن هنا فهو أحد الحركيين الملتزمين بالاسلام العالمي والحركة العالمية، وله في هذا المضمار تنظيرات شتى.

أربعة محاور يمكن اعتبارها المعالم الاساسية لفكر العلامة المدرّسي والتي طالما دارت حولها كتاباته وأحاديثه وهو يعتبر انجازها رسالة حياته:

المحور الأول: ان تخلف الامة الاسلامية هو في جذوره تخلف ثقافي قام على ارضية التبرير للفرار من مسؤولية الصراع ولتطبيع الفصل بين الدين والحياة وان القضاء على التخلف لن يتم بعمل تثقيفي مباشر بل من خلال تغيير لهيكلية المجتمع ونظام توزيع القوى فيه لصالح الخط الاسلامي الجذري من اجل ايجاد انفصال نفسي بين الجمهور وبين رموز الثقافة المتخلفة وبعدها يكون الظرف مساعداً للعمل الثقافي المباشر، وهذا يحتاج لكي يتحقق الى ثورة شاملة

وجذرية.

المحور الثاني: ان الاسلام - بمضمونه الحقيقي والمباشر - موجود في النصوص وتحديداً القرآن والسنة، وما عداها فهو من وضع البشر وهو لهذا غير ملزم وغير ضروري الاتباع الا في حدوده الزمانية والمكانية، ان الاسلام هو الوحي اما التراث فهو موضوعات البشر، واذا توصل الناس في زمن ما لتفسير معين للقرآن او السنة فهذا التفسير على افتراض الزامه لهم، فهو غير ملزم للاجيال التالية كأحكام نهائية.

المحور الثالث: مسؤولية التغيير منوطة بالدرجة الاولى بالجمهور ثم النخبة باعتبار الجمهور صاحب المصلحة الرئيسية في التغيير كما انه المتضرر الرئيسي من استمرار الاوضاع الفاسدة، وتحدد مسؤولية النخبة في ارشاد الجمهور الى اهدافه الحقيقية ومساعدته في اكتشاف الواقع وسبل تغييره لكن ليس لها ان تكون وصية عليه او ان تقوم بعملية التغيير نيابة عنه، ان الثورة هي بالدرجة الاولى عمل جماهيري، وحالة جماهيرية، وعدم قيام الجمهور بمسؤولية الثورة يعني ان الظرف غير ناضج لثورة حتى لو استطاعت النخبة القيام بها، إلا إذا كان قيام النخبة بالثورة مرحلة تمهيدية لدخول الجمهور ساحة الصراع.

المحور الرابع: الاسلام عالم واحد وما يحدث في الشرق الاقصى يؤثر بشكل او بآخر على مستقبل العالم الاسلامي كما لو كان في المغرب العربي او في الشرق الاوسط، فالصراع الحقيقي ليس مع الانظمة الحاكمة في هذا القطر او ذاك من اقطار العالم الاسلامي، بل مع المنهج السياسي والاجتماعي الذي اقامه الاستعمار واستقر كأمر واقع في عالمنا الاسلامي على ارضية التخلف والقابلية للفساد ومن اجل ذلك فالمعركة التي تخوضها اي حركة اسلامية في اي قطر هي جزء من معركة اشمل تخوضها الحركة الاسلامية العالمية كمنهج في مقابل الاستعمار والعلمانية والفساد كمنهج مما يحتم قيام مستوى اعلى من التواصل بين فصائل الحركة الاسلامية في شتى انحاء المعمورة.

★ ★ ★

على اي حال، سيجد القارىء ان حديث العلامة المدرسي هو أفضل تقديم له، فليعذرني القارىء العزيز على الاطالة، ارجو الله أن يوفق الجميع لصالحات الاعمال، وان يجعل عملنا خالصاً له وذخراً لنا يوم الحساب، والحمد لله أولاً وآخراً.

توفيق الشيخ

١٩٨٨/٢/١٠

الباب الاول

العِراق

الواقِع، المعارضة، التحديات

البديل

□ في حالة إنهيار الجيش العراقي ولحوق الهزيمة بالنظام، هل من الممكن ان ينشأ بديل؟.

■ يتكون البديل بفعل عاملين على الاكثر.

الاول: عامل التفاعل في الداخل، أي تفاعل الشعب مع القضية.

الثاني: عامل التفاعل في الخارج، أي تفاعل المعارضة المتواجدة خارج حدود البلد.

بالنسبة الى الداخل غالبا ما يكون اليأس مفتاح الامل. فعندما يصل الانسان الى حالة الصفر في الايمان بالواقع يبدأ بخلق شيء جديد، والثورات في التاريخ، لم تبدأ الا بعد يأس الشعوب الكامل من أنظمتها الحاكمة. وبتعبير آخر لا تثور الشعوب غالباً قبل أن تفقد الأنظمة الحاكمة عليها جميع اوراقها التي تبرر بها ضرورة وجودها. والنظام العراقي لا يزال يمتلك بعض الاوراق. فصدام مثلا يبكي وراء شاشة التلفزيون ولا ريب ان بكاءه يستقطب مجموعة من ابناء الشعب المخدوعين بفكرة القومية وارض العراق وقائدها (المقدام) صدام. وهذا كلام تسمعه من الضباط والجنود العراقيين الاسرى. يقول احدهم: نحن نعلم ان «صدام» رجل غير صالح ولكن بالتالي هو رئيسنا، وهو يمثلنا!

هذه ورقة وورقة اخرى اثارهـا صـدام في خطـابـه الاخير مـؤداهـا ان الايرانيين سيدخلون العراق إذا لم ندافع عن العراق، واشار في خطابه الى مخفر فكة وقال: من هنا يريدون ان يدخلوا. قال ذلك ليثير في الشعب عصبية السوء وليضللهم بالأدعاء ان الايرانيين إنما يريدون سلب أراضي العراقيين والتحكم بمصائرهم. لذلك يجب عليه الدفاع وعدم ترك ارض الوطن مفتوحة أمام (الغزاة الفرس) حسب ادّعائه!!

هذه الأوراق ستحترق الواحدة تلو الاخرى حتى يصل الشعب الى درجة الصفر. وهذا التفاعل سيجعل النظام يتحلل الى ان يفقد سيطرته على الجماهير.

أما بالنسبة للمعارضة في الخارج فأنها حتى الان، لم تثبت وحدتها في الساحة. والوحدة هي من اولويات الأنتصار.

ان اذاعة وتلفزيون العراق يضربان باستمرار على هذا الوتر الحساس. وفي خطابه الذي وجهه الى الاكراد مؤخراً قال صدّام:

(دعهم يوحدوا انفسهم اولا ثم يأتوا لمحاربتي)، كما أن تلفزيون العراق عرض مقابلتين او ثلاث مع افراد أسماهم اعضاء حزب الدعوة، وفي هذه المقابلات كان هناك تركيز في الحديث على الخلافات بين حزب الدعوة ومنظمة العمل، النظام أراد من مسرحياته تلك سلب ثقة الجماهير العراقية بالقيادة الدينية وأنتم تعرفون ان الذي يستقطب الجماهير هو عامل الثقة.

فاذا لم تثق الجماهير بقيادتها فأنها لا تلتفت اليها حتى لو كانت هذه القيادة قادرة على تحقيق طموحاتها، فعلى المعارضة العراقية ان تثبت للشعب العراقي بطريقة أو بأخرى انها قادرة على ان تكون البديل. الحركات الاسلامية كانت لها تحركات داخل العراق ما بين عام ٧٥ وعام ٧٨ م، اما اليوم فان هذه التحركات تكاد تكون معدومة. وهذا سيتسبب في ان يسحب الشعب ثقته بهذه الحركات. وهناك أمر آخر جدير بالاشارة هو انه حينما يسمع الشعب العراقي الاذاعة العربية في طهران تتحدث عن المعارضة العراقية، فأنه يعتبرها اذاعة دولـة محاربـة، ذلـك لان الشعـب لم ير اثراً لجيش من العراقيين يقاتل

على الحدود ليحرر وطنه من قبضة الحكم البعثي المتسلط، وطبيعي ان لا تثق الجماهير العراقية بالبديل المطروح في مثل هذه الظروف.

ان اي ثورة يجب ان تنبع من داخل الشعب ومن داخل القطر، الثورة لا يمكن ان تكون مهاجرة بكاملها، ان النظام سيستمر لفترة حتى تحترق كل اوراقه ويصل الشعب الى درجة الصفر الايماني بالنظام القائم، حينها ومع استقطاب ثقة الجماهير من قبل الحركات الاسلامية، يمكن لهذه الحركات أن تكون البديل وتقود ليس الثورة وحدها بل الدولة أيضاً بعد ذلك.

□ ما هي خلفية الحركة الاسلامية في العراق؟

■ للحركة الاسلامية في العراق خلفية متأصلة اصالة الاسلام فيه، أن الحركة الاسلامية في الوطن الاسلامي الكبير بنت قواعدها على الاسلام. أما اذا أردنا الحديث عن الحركة الاسلامية الجديدة في العراق، والتي تميزت بصبغة سياسية وربما عسكرية في بعض الاحايين، فقد ظهرت ككيان متميز في نهايات حكم العائلة الهاشمية في العراق[1].

ففي نهاية الفترة التي حكمت فيها هذه العائلة العراق، عمت البلد موجة اسلامية واخرى سياسية، ونشأت في ظل هذه الموجة حركات اسلامية في جنوب العراق ووسطه وشماله، كان منها ما يشكل امتداداً للحركات الاسلامية القائمة خارج العراق، مثل حركة الاخوان المسلمين التي نشأت في الموصل وبغداد، وحزب التحرير الاسلامي الذي نشأ في بغداد، بينما كان البعض الآخر من هذه الحركات نابعا من الارضية العراقية ذاتها كحركة جماعة العلماء في النجف الاشرف، وحركة جماعة المبلغين في كربلاء المقدسة.

تطورت هذه الحركات بشكل كبير بعد الانقلاب العسكري الذي قام به عبد الكريم قاسم في ١٤ تموز ١٩٥٨ م، وبشكل اكبر بعد صعود حزب البعث

اليميني الى سدة الحكم في العراق في عام ١٩٦٨ م ، هذا الحزب الذي وضع على قائمة اولوياته القضاء على أي تحرك اسلامي .

ويرى بعض المراقبين السياسيين ان اختيار الاستكبار العالمي لهذا الحزب بالذات ، وتعاون الاستعمار الانكلو - امريكي على تقويته ودفعه الى الواجهة السياسية ، انما كان محاولة لايقاف التنامي المضطرد الذي شهدته الحركة الاسلامية في العراق أواخر حكم عبد الرحمن عارف ، هؤلاء المراقبون يتخذون من مقررات اول مؤتمر للحزب بعد وصوله الى السلطة دليلا على ما ذهبوا اليه في تحليلاتهم حيث جاء فيها ان من اولويات مهام الحزب القضاء على (الرجعية الدينية) والمقصود بذلك الحركة الاسلامية .

وبالطبع فان العلماء والحركات الاسلامية في كل من كربلاء والنجف تصدوا لهذا التوجه ، الامر الذي واجهه النظام بعنف ، فكانت اول بوادره اعتقال بعض العلماء ورجال الدين امثال المفكر الاسلامي السيد حسن الشيرازي [٢] الذي استشهد بعدئذ في بيروت ، والشيخ عبدالعزيز البدري [٣] الذي استشهد تحت التعذيب في بغداد ، وهو من علماء الدين السنة . كما عمد النظام الى سياسة النيل من المرجعية الاسلامية التي كانت متمثلة آنئذ بآية الله السيد محسن الحكيم [٤] رضوان الله تعالى عليه . وفي عام ١٩٧٥ م قام النظام بأعدام كوكبة من العلماء والشخصيات الاسلامية بتهمة الانتماء للحركة الاسلامية ، وهم مجموعة الشهيد الشيخ عارف البصري [٥] ، ثم تلت ذلك موجة التصفيات ضد ابناء الحركات الاسلامية ، ولكن كلما كانت تلك الموجة تشتد ، كان عود الحركة الاسلامية يقوى وتنتشر بين صفوف الشباب الثوري لتصبح الراية الاسلامية اليوم هي الراية التي ينضوي تحت ظلها غالبية من يناضلون بصدق ضد النظام .

□ نلاحظ ان ايران والعراق يختلفان اختلافا واضحا في التركيبة الطائفية والتركيبة الاجتماعية وربما حتى السياسية . هل

ترون ان بالامكان ان تتكرر الثورة التي حصلت في ايران مرة ثانية في العراق بنفس المواصفات والخصائص؟

■ لكل بلد خصائصه ومواصفاته، ولكن هناك مواصفات وخصائص عامة تتطلبها الثورة الاسلامية، وفي ظل تلك المواصفات التي منها البنية الثقافية يمكن ان تتكرر التجربة.

القرآن هو الملهم للثورة الاسلامية والقرآن واحد والانسان المسلم الممتزج روحا وثقافة به ينتمي اليه اكثر من انتمائه الى الارض والى الاقليم او الدولة. فهو منتم الى الاصالة والى التاريخ والى حضارة مجيدة. وفي هذا الانتماء نرى تشابها حقيقيا بين المسلمين في شتى أرجاء العالم. فحينما اجلس كمسلم من العراق مع مسلم من اندونيسيا او من نيجيريا او من امريكا اللاتينية، بشرط ان اكون وذلك المسلم متصلين بينابيع الاسلام بصورة مباشرة وقوية، فانه لا فرق بيني وبينه. ثم اننا اذا حسبنا القواسم المشتركة بين العراق وايران، نجد ان كليهما ينتميان الى العالم الثالث ويعيشان في منطقة واحدة، وانهما بتروليان وان طبيعة كثير من الامور في كليهما متشابهة، من الانتاج والصناعة وغيرهما.

من الطبيعي ان هناك اختلافات، ولكن مثل هذه الاختلافات نجدها كذلك بين الاقاليم المختلفة في ايران. فقد يجد الانسان الذي يعيش في قم نفسه اكثر قربا من الذي يعيش في كربلاء او في النجف كمدينة مقدسة عن الذي يعيش في منطقة بلوجستان مثلا. وفي طبيعة التركيبة الفكرية والثقافية قد يجد الحضري هنا والحضري هناك انفسهم اقرب الى بعض من الحضري والقروي في داخل ايران. ولا نتغافل عن وجود بعض الاختلافات، الا انها ليست من النوع الذي يؤثر على المسائل الاستراتيجية في الثورة وانما يؤثر على مسائل تكتيكية.

□ مع كثرة المعطيات التي تقدمها فصائل الحركات العراقية والدولة الايرانية في سبيل سقوط صدام، يتوقع كثير من الناس قرب سقوط النظام العراقي. وهو نظام يعيش حالة حرب منذ بضعة اعوام وفي قطر تحكمه تحركات ثورية، ويعيش عزلة نفسية من قبل الشعب العراقي. مع كل ذلك نرى أن هذا النظام ما زال باقياً في الحكم. ما هو سر ذلك؟ وما هي العوامل والاسباب التي تساعد النظام العراقي على البقاء في الحكم؟

■ لا ريب ان النظام الصدامي يمتلك جملة من المقومات التي تمنحه الاستمرارية. اشير هنا الى مقومين اساسيين:

الاول: داخلي يتمثل في وجود حزب متمرس في السلطة ينشر شباكه داخل تفاصيل المجتمع من جهة، ولا يتردد عن اتخاذ المواقف لقمع اي صوت للمعارضة. وجود هذا الحزب وعلى رأسه رجل كصدام الذي أصبح بطلا للجريمة ان كان في الجريمة بطولة، وصاحب وسام الارهاب ان كان للارهاب وسام، وصاحب قصب السبق في الوحشية والهمجية. هذا الرجل الذي لا يتورع عن قتل اخوته وخيانة اقرب اصدقائه، والذي القى في قلوب العراقيين رعبا، يرجع اليه قسط كبير من الفضل في بقاء النظام حتى اليوم. ويمكنكم مشاهدة الفيلم الذي يعرض وقائع حفلة اصدار قرارات اعدام بحق بعثيين كبار بينهم بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة، وكيف ان الرعب كان يسوقهم الى حتفهم مثل الخراف. هذا الاسلوب مورس مع أقطاب النظام، فكيف مع عامة الناس؟

الثاني: الدعم اللامحدود الذي يقدمه الاستكبار العالمي لهذا النظام. تسمعون

بين فترة واخرى تصريحات من هنا وهناك تصدر من قبل المسؤولين في الدول الاستكبارية مؤداها ان سقوط النظام الصدامي يعني سقوط منطقة الخليج بيد الامام الخميني (حفظه الله) يعني شيئاً لا تعرف نتائجه - بنظرهم -.

العالم الغربي اليوم لم يعد قادرا على تحمل ازمة جديدة كأزمة انقطاع البترول عنه تضاف الى ازماته الاقتصادية الخانقة والرعب النووي الذي يعيشه، لذلك فان دعمه لصدام غير محدود. مليارات الدولارات وانواع الاسلحة الفتاكة تنصب سنويا على العراق. بالاضافة الى الدعم الاستشاري والمخابراتي الذي تقدمه طائرات الاواكس والاقمار الصناعية والدعم الاعلامي المكثف حتى انك لا تفتح اذاعة في الغرب او الشرق الا وتسمع فيها ان صدام يدافع عن السلام وان ايران لا تزال ترفض ذلك، بينما الواقع ان صدام هو الذي بدأ الحرب وهو الذي بدأ بضرب المدن واليوم يضرب المنشآت النفطية. ولكن الاعلام العالمي يعرض الحال معكوسا. لا ريب ان لهذه القوى مصلحة في بقاء هذا النظام. لقد اتفق الشرق والغرب على أمر في ظل حكم اندروبوف وريغان هو ان لا تصدير للثورة الاسلامية في ايران وان لا يسقط صدام على يد الثورة الأسلامية. لانه من الطبيعي ان انتصار الثورة الاسلامية في ايران يعني انتصارها على المعادلة الدولية المفروضة على العالم والمتمثلة بالنظام العالمي الذي يتقاسم طرفاه الشرق والغرب ليهيمنا معا على مقدرات الشعوب. ومع انهما يختلفان في كثير من المسائل الا انهما يتفقان على هذه المعادلة التي تقسم نفوذ القوتين الامريكية والروسية في العالم.

ثم من جهة اخرى ان قضية العراق تشابكت مع الثورة الاسلامية في ايران. وذلك يعني ان الثورة الاسلامية في العراق ستتلاحم مع قضية الثورة الاسلامية المنتصرة في ايران شئنا ام أبينا، وهذا يدعو القوى العالمية اكثر الى بذل الجهود لئلا تنتصر الثورة الاسلامية في العراق. مرة لما يسببه الانتصار ذاته من اضرار لها، ومرة لما يسببه تلاحمها مع شقيقتها الثورة الاسلامية من اضرار هي قطعا اكبر من الاضرار التي تحملتها عقب الثورة الأولى.

التحـدّيات

□ الشرط الذي تعلنه الجمهورية الاسلامية ـ رسميا ـ لوقف الحرب هو اسقاط رأس النظام (صدام حسين) ويقول المسؤولون احيانا انهم يسعون لاسقاط النظام العراقي وليس الراس فقط، ترى هل هذا هو شرط الحركة الاسلامية العراقية ايضاً؟ هل يريد العراقيون اسقاط النظام ام يكتفون برأسه؟

■ الحرب الدفاعية التي خاضتها ايران ضد العراق، كان قرارها نابعاً من ارادة الشعب والمسؤولين في الجمهورية الاسلامية، ولم يكن قرار المعارضة العراقية، وبالتالي فأن استمرارها قائم على هذا القرار ايضا، نحن لا نستطيع التحدث عن شيء نريده او لا نريده ما دام القرار والتنفيذ بيد الآخرين، ان الحركة الاسلامية العراقية لا تستطيع، وليس من الصحيح لها ان تفرض قرارها او ارادتها على الجمهورية الاسلامية، اما قرار هذه الحركة فيجب ان تتحمل هي عبء تنفيذه فالحمل الثقيل لا يقوم به الا اهله كما ورد في السنة المطهرة.

ان صراعنا ـ كحركة اسلامية عراقية ـ مع النظام الحاكم في بلادنا

صراع حضاري شامل باعتباره يمثل الجاهلية الغربية في ذروة فسادها وارهابها ولذلك فمطلبنا هو اسقاط النظام السياسي واقامة البديل الاسلامي، التغيير الشامل لموازين القوى وهيكلية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، اعادة الروح الى القيم الثقافية والسلوكية الصحيحة ونفي القيم الفاسدة التي عشعشت في بلادنا منذ عشرات السنين.

فالحرب من منظور الجمهورية الاسلامية هي دفاع ضد عدو حاول اهانة الوطن وتدمير النظام الذي اختاره الشعب وفرض وصاية سياسية على هذا الشعب فهي دافعت حتى استعادت اراضيها وهي الآن تقاتل لإنزال العقاب بالمعتدي وتغيير المعادلة السياسية الاقليمية كاجراء وقائي ضد هجمات معادية محتملة في المستقبل، اما الحرب من منظورنا - كحركة اسلامية عراقية - فهي حلقة من حلقات الجهاد المقدس لاقامة النظام الاسلامي العادل بعد اسقاط النظام الجاهلي وهي تصنف ضمن اطار حركة تحرر وطني واجتماعي وليس ضمن صراع دولة مع دولة، اريد هنا الاجابة على سؤال لا بد ان يرد مضمونه: لماذا لا تفكر ايران في ايجاد تغيير في العراق وباعتبارها دولة مسلمة تتبنى نشر الرسالة الاسلامية التي تتركز في اخلص معانيها باقامة السلطة الاسلامية في اي بلد والجواب ان هذا امر لا بد وان يؤخذ بعين الاعتبار، ولا بد للقيادة الدينية في ايران ان تفكر فيه، لكن اعلانه كمبرر للحرب امر غير مقبول وفق المعادلات السياسية الحاكمة في المنطقة، قد يكون غير مقبول حتى من الشعب الايراني، لقد طرح الامام الخميني - حفظه الله - فكرة الدفاع عن شعب العراق المظلوم عن طريق ازالة النظام الذي اسس اساس الظلم، وهذا ما اعطى لرؤية القادة الآخرين في الجمهورية الاسلامية افقاً أوسع في الرؤية والتقييم للحرب والتعامل مع الحركة الاسلامية، لكن هذا ليس - من الناحية الرسمية - مبرراً للحرب، فظروف الحرب اكثر خصوصية من ظروف الدفاع عن المظلومين، خلاصة القول ان الحركة الاسلامية تتفق مع القيادة الدينية في الجمهورية الاسلامية في مطلب اسقاط راس النظام، لكن لكل منهما مبرر وقاعدة تختلف

إلى حدٍّ ما عن الآخر رغم ان الحركة الاسلامية التي تعتبر علاقتها مع الجمهورية الاسلامية علاقة عضوية تؤيد مطالب ايران بشكل مطلق.

□ يدعي الاسلاميون العراقيون انهم يتمتعون بتأييد غالبية الشعب العراقي، ترى ماذا يكون موقفكم لو ان النظام الحالي دعى الشعب الى استفتاء لاختيار قيادته ونظامه السياسي وهل ستقبل الحركة الاسلامية نتائج الاستفتاء وما يترتب عليه؟

■ ارادة الشعب مصادرة في ظل النظام القائم، وبالتالي فان اي نتيجة لأي استفتاء لن تعبر عن رأي الشعب الحقيقي بل ان عقد مثل هذا الاستفتاء هو تكريس للنظام الارهابي القائم، ونحن نرفض النظام بصورة جذرية، نرفضه كوجود ونرفض كل ما يتفرع عنه وكل ما يقوم في ظله انه بناء اسس على جرف هار، فيجب ان ينهار لا ان يتعامل معه او يتكرس. ان صدام حسين ونظامه ليس مجرد مجموعة مستبدة ومجرمة بل هي في الحقيقة عصابة خاضت في مستنقع العمالة للاجنبي وخيانة امال الشعب الذي انقطع كل حبال وصل بينه وبينها ولذلك فانها لا بد ان ترحل، والا فالموافقة على بقائها او مشاركتها هو اشبه بالدعوة للمشاركة في الحكومة الاسرائيلية بلا زيادة ولا نقصان، نحن مطمئنون الى ان النظام عاجز عن طرح مثل هذا الخيار، ومطمئنون الى ان ايامه معدودة وان المستقبل سيكون للاسلام وحركته وجماهيره. نحن مع خيار الشعب ، لكن بعد ان يكون في مقدوره الاختيار، بعد ان يحصل على حريته.

□ قلتم انكم مع خيار الشعب،

فلنفترض ـ جدلا ـ ان الشعب استع
حريته ثم اختار مرة اخرى صدام او شبي
او اختار نظاماً غير اسلامي، فماذا سي
موقفكم؟ هل ستعارضون النظام
الداخل ام ستقاتلونه كما تقاتلون صدام
ستقبلون خيار الشعب فتتركون المعارضة

■ خيار الشعب وحريته في تقرير مصيره وافراز نظامه الوطني هو ا
اهم اهدافنا كحركة اسلامية، ولو تحقق الفرض الذي ذكرتموه فاخت
الشعب نظاماً غير اسلامي فسنقوم يومها بالمعارضة الايجابية، المعارضة ضم
الاطر القانونية، سنلقي السلاح جانبا وسنقوم بالتوعية الجماهيرية، سنحاو
ونطرح افكارنا وندعو اليها بالتي هي أحسن. نحن لا نعتبر انفسنا أوصياء على
الناس ولا وكلاء عنهم في اختيار نظام حياتهم وسياسة بلادهم، لقد اعطى
الاسلام حرية الاختيار للناس كافة فهل نأتي نحن في آخر الزمان لنجبرهم على
ما لا يريدون ونختار لهم ما لا يرغبون: ﴿**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ [٦].

اني اعتقد بان التوجيه والارشاد والدعوة الى الله هو الدور الاساسي للحركة الاسلامية، لكنها تقوم بدور الكفاح المسلح بسبب وجود الاصنام التي تمنع الدعوة الى الله بحرية مثل صنم العراق (صدام) وغيره فهو دور ثانوي نقوم به اضطراراً لا اختياراً.

□ **العلاقة بين عراق المستقبل وبين الجمهورية الاسلامية الايرانية، كيف ستكون في رأيكم، هل ستدعون الى وحدة**

البلدين، ام مجرد علاقات متميزة بين بلدين مستقلين؟

■ اريد هنا ان أعرض رأيي الشخصي فقط.. اني افهم الامة الاسلامية كوحدة واحدة، واتمنى من كل قلبي ان يتوحد المسلمون في ظل دولة واحدة، وينتخبوا قيادة واحدة، واعتقد ان هذا الامر ممكن على المدى البعيد اذا وجهنا عملنا في الاتجاه الذي يخدمه كهدف عظيم، لكن ما اراه من اوضاع قائمة يدعوني للاعتقاد بان وحدة البلدين (العراق وايران) لا يمكن ان تتم بصورة فورية بعد تحرر العراق مباشرة، انها تحتاج الى زمن طويل يبرمج مداه لتحقيق عناصر الوحدة حتى يحين الوقت المناسب لاعلانها كحقيقة واقعة متكاملة العناصر على الارض، ان المهمة العاجلة للحركة الاسلامية العراقية هي تحرير الشعب فاذا تحرر الشعب واختار النظام الاسلامي، حينها يمكن طرح تصور للوحدة في كل من البلدين ثم بعد تحقيق اتفاق على اصل الطرح تتم بلورة صيغة الوحدة وميكانيكية تحقيقها والمدى الزمني اللازم لها.

اني اعتقد بان الوحدة الاندماجية هي الخيار الامثل نظراً لتكامل البلدين وقدرة كل منهما على توفير مستلزمات البقاء لنفسه بحيث لا تكون الوحدة سبيلاً لاثقال احدهما بعبء الآخر، ولأن الشعبين في مستوى واحد تقريبا من حيث المعيشة ولانه لا يخشى من الغبن او الهضم جراء هذه الوحدة، هذا اضافة الى عناصر التشابه الجغرافي والاقتصادي والثقافي (الخليفة التاريخية والدينية)، خلاصة انا ارى - مع التأكيد على ان هذا الرأي شخصي - ان الوحدة هي الخيار الامثل شرط ان تتم باختيار حر دون جبر او تحميل.

★ ★ ★

كَيْفَ يَسْقُطُ النظام

□ ثمة قناعة اجدها راسخة لدى بعض فصائل المعارضة العراقية، مؤداها ان القضية العراقية قد دخلت ضمن معادلة العلاقات بين الدول الكبرى، وبالتالي فأن اوراق الحل الاساسية لم تعد في يد المعارضة بل انتقلت الى عواصم تلك الدول، بل ان الحرب - في رايهم - لم تعد اكثر من ظرف مساعد في صنع معادلات جديدة وليست ورقة حسم كما كان ينظر اليها سابقاً.

■ ان أي قضية وأي دولة تؤثر بصورة أو بأخرى على معادلات اقليمية ودولية فلا بد أن تحظى باهتمام الدول الشريكة في تلك المعادلات، ويستتبع هذا محاولة تلك الدول للدخول على خط القضية للتأثير في مسيرتها على نحو يجعلها تخدم مصالحها واهدافها المحلية، الاقليمية او الدولية وبقدر اهمية القضية يتسع نطاق انتشار اوراق الضغط في معادلتها بين العواصم وقوى التأثير المحلية والعالمية، والقضية العراقية هي من هذا النوع، حيث تتشعب ابعاد القضية من البترول فالعراق يملك ثاني اضخم احتياطي للبترول في العالم، وسيكون احد أهم الدول المنتجة للغاز، والموقع الاستراتيجي حيث يشرف على

الخليج العربي بعدد ضخم من النفوس (١٨ مليون نسمة) قياساً الى دول الخليج والجزيرة الاخرى التي لا يزيد عدد السكان في اكبرها عن عشرة ملايين نسمة، اضافة الى كون التحدي الذي واجهه النظام هو بالدرجة الاساسية تحد اسلامي، وبالتالي فمن الممكن جداً ان يكون العراق بداية المد الثوري الاسلامي الى العالم العربي وسيكون هذا المد مدعوماً بدولتين قويتين هما ايران والعراق بعد التحرير، وهذا ما يهدد بقلب كل المعادلات الراهنة وتوزيع القوى في الشرق الاوسط، ان الخليج بما فيه العراق وايران يزود العالم الصناعي بنصف حاجاته من الوقود على الاقل، كما يوفر له ثالث اهم الاسواق على مستوى العالم، ولذلك فالقضية العراقية ـ بهذه الابعاد ـ شديدة الاهمية لدى الغرب والشرق، وبقدر هذه الاهمية تزداد المداخلات وتتوزع اوراق الضغط، فاللعبة الدولية في العراق خطيرة وواسعة، لكني اشك شكاً عميقاً في تفوقها على قدرات الشعب في بلده، ان قدرة الشعب اكبر بالتأكيد من قدرة النظام الذي يحكمه كما انها أكبر من النظام الدولي الحاكم في العالم بشرط ان تجتمع هذه القدرة في اطار واحد باتجاه هدف واحد، انك ترى عبر التاريخ دولاً قليلة كان العامل الاجنبي حاسماً في تغيير نظامها السياسي بالقياس الى العدد الكبير من الانظمة التي تغيرت بارادات داخلية وطنية. إن العامل الدولي يستثمر الظرف الداخلي، ولا يصنع التغيير في معزل عنه، ومن المؤسف ان شعوبنا تهيء الظروف ليقطف الاجانب الثمر، ولو أصبحنا اكثر نضجاً، واكثر معرفة بتخطيط قوى الضغط الدولية لاستثمرنا الظروف التي نصنعها بدل ان يستثمروها هم لصالحهم. ان الحرب والضغط العسكري على صدام يمثل عاملاً مهماً في تفتيت القوة المادية، والمقاومة الداخلية عامل مهم في تحطيم جدار الخوف ودفع الشعب للمشاركة في الجهاد، كما ان العمل السياسي عامل مهم لكشف مسارب اللعبة الدولية، فلو استطعنا اكتشاف المواضع التي تنتهي عندها خطوط التأثير لأنواع العمل الجهادي لأمكن لنا ان ندخل كعامل رئيسي في اللعبة الدولية حيث نستطيع يومها استثمار عملنا لتحييد الضغوط الأجنبية او

لتحديد آثارها ضمن المسيرة العامة للقضية.

اريد أن اعود للتأكيد ان الشعب قادر على تجاوز اي معادلة دولية ولنا في ايران عبرة، حيث فشلت قوى الضغط الاقليمية والدولية في وقف المسيرة الاسلامية رغم انها ما تركت وسيلة الا واستخدمتها من الحصار الاقتصادي الى الحرب الى تمويل القوى المعادية للثورة الى الاعلام المكثف على مستوى العالم الى التحجيم السياسي الى الاغراء، ومع ذلك فالثورة تودع الآن عقدها الاول دون ان تتراجع او تستسلم، ان هذا دليل قاطع على امكانية تفوق الارادة الوطنية على الارادات الخارجية اذا اجتمع الشعب على مسار واحد وهدف واحد.

اني ادعو الى تشديد التلاحم الشعبي وتعزيز القوة الحركية للفصائل المجاهدة، كما ادعو الى عمل سياسي على مستوى العالم يتضمن الحوار مع العواصم المؤثرة في القضية العراقية باتجاه اقناعهم بان الحركة الاسلامية هي البديل القسري للنظام القائم، وهي القوة الحاكمة - حتما - للعراق في المستقبل القريب، وان عليهم التفاهم معها لترتيب مصالحهم في العراق، وليس مع اي قوة اخرى، ثم اننا امام ما نراه من لعبة دولية لا بد ان نتخذ الموقف الصحيح، اما توجيه مسارها بالاتجاه الصحيح او البحث عن كل طريقة ممكنة لافشالها واعادتها الى نقطة الصفر.

ان اكثر ما اخشاه هو ان يتخذ البعض من هذه الحقيقة - حقيقة وجود قوى ضغط دولية فاعلة في القضية العراقية - مبرراً للتخاذل وانتظار تحقق المعجزات على يد الاعداء.

□ القوة المادية التي تملكها الدول الكبرى كبيرة، كما ان ارتباط النظام القائم بمراكز القرار فيها ارتباط حيوي مستند الى قاعدة واسعة من المصالح والقناعات، بينما نجد ان الشعب داخل العراق والحركة

الاسلامية في داخله وخارجه لا تزال ضعيفة ـ بالقياس الى النظام ـ بدليل عجزها عن مواجهته وجها لوجه، فكيف بها امام تلك القوى الاستكبارية، ثم اذا كان الشعب يمتلك القدرات التي تحدثتم عنها فلماذا بقي النظام كل هذه السنين. ألا ترجعون بقاءه الى دعم الاستكبار؟ ثم الا يعني هذا اختلالاً في ميزان القوى لصالح الاستكبار؟

■ حقا.. القوى المادية بمعنى المال والسلاح والجيوش متوفرة لدى الاستكبار، ولدى قوى الضغط التي تعمل لصالح صدّام في الوقت الراهن، وهذه القوى مسخرة جميعاً للمحافظة على صدام او ـ في حالة اليأس من بقائه ـ للمحافظة على العراق كدولة عازلة بين ايران والعالم العربي، لكن هذا لا ينطوي على دلالة قطعية بأن هذه القوى تستطيع ابقاء صدام الى النهاية، والا فكيف عجزت عن حماية انتصاره الذي حققه في بداية الحرب، فكيف عجزت عن حماية الشاه قبله، وكيف عجزت عن حماية حلفائها ومصالحها في عشرات الدول التي اطاحت بها ثورات الشعوب مثل نيكاراغوا، فيتنام، افغانستان وغيرها، ثم كيف عجزت عن حماية قواتها الخاصة في لبنان؟ هل تذكر ماذا فعلوا بقوات الاطلسي في لبنان؟

انني لا ازال متأكداً من ان الدول الاستكبارية لا تفعل شيئاً سوى استثمار ظروف معينة في البلاد المعنية ولعلها تساهم في خلق ظروف مناسبة لها، لكنها لا تملك الوسائل اللازمة لفرض تغيير قسري اذا ما كان هناك عمل مضاد واع بمسارات حركتها، وكانت النهضة الشعبية محصنة من الاختراقات.

اما القول بان الشعب والحركة الاسلامية لا يزالان من الضعف بحيث عجزا عن اسقاط النظام فهو صحيح نسبياً، ان ديناميكية وفاعلية الشعب قد تدهورت

بسبب القمع الوحشي المتواصل من جانب النظام، لقد حدث تهشيم واسع للشخصية العراقية منذ انقلاب تموز ١٩٦٨ الاسود ثم ان زج النظام الشعب في خرقة القادسية قد اوجد ظروفا غير مساعدة للحركة الشعبية، فالعوامل السلبية كثيرة - كما ترى - لكني أوكد ان هذا الضعف نسبي، فالحركة الاسلامية آخذة في النمو، وقد حققت نموا طيبا خلال السنوات القليلة الماضية، كما ان هناك وعيا متناميا داخل العراق يبشر بخير، كما أن النظام آخذ في التفكك بسبب اعباء الحرب وصمود الجمهورية الاسلامية ولذلك فالظرف الراهن - هذه الايام بالخصوص - يدل على صحة قولي فالتصريحات التي ظهرت في عواصم الغرب، والتحركات التي قام بها مسؤولون في دول المنطقة تدل على ان القوى الاستكبارية وعواصم المنطقة اصبحت تشعر بان صدام ونظامه اصبح عبئاً عليهم وعلى مصالحهم في المنطقة ولذلك فهم يسعون الى اصلاح علاقاتهم مع الجمهورية الاسلامية استعداداً لمرحلة ما بعد صدام، بل لقد صرح مكفارلين المستشار السابق للرئيس الامريكي بانه لا بد من الاعلان بان صدام يجب أن يطاح به لاعادة الاستقرار الى الشرق الاوسط (يناير ١٩٨٨) (٧).

اخيراً فالعلاقة البنيوية بين نظام صدام وبين الدول الكبرى من جهة وعلاقته الوثيقة مع دول الخليج من جهة اخرى يعطي للحركة الاسلامية ورقة قوة اخرى فهذه العواصم تهتم بمصالحها اولا واخيراً وليس بينها وبين صدام صلة رحم فاذا ما شعرت بان عناصر التغيير اصبحت في طور التكامل فانها ستضطر الى الحوار مع الحركة الاسلامية لحفظ مصالحها، وعلينا أن نبادر لاقناع هذه الدول بان الوقت قد حان لبدء هذا الحوار.

□ لا زلتم تصرون على تصعيد العمل الجهادي داخل العراق، فهل تعتقد انه سيؤدي الى اسقاط النظام، ام انه سيكون

ورقة في لعبة سياسية اكبر باتجاه اسقاط النظام؟

■ العمليات المسلحة وحدها لا تسقط النظام الا اذا توجهت الى مفاصلة، وبالخصوص الى رأسه كما اني لا اثق في ما تسميه (لعبة سياسية)، ان الهدف الاساسي للعمليات المسلحة هو كسر حاجز الخوف في نفوس الناس، ونقله الى قلوب جلاوزة السلطة، ان طلقة واحدة تبعث الامل والشجاعة وتؤجج الحماس في نفوس الشعب هو ما تهدف اليه العمليات المسلحة، ارى ان احد عناصر قوة النظام هو ما نسميه بشرعية الامر الواقع، فهو فرض نفسه بالقوة لكنه استمر اعتماداً عليها وعلى شعور الناس بان «ليس في الامكان ابدع مما كان»، وبان «من تزوج امي اقول له عمي» وهذا شعور خاطىء، تعبير عن تخاذل وضعف وهزيمة داخلية ونحن نعالجه باثبات ان النظام ليس امراً واقعا، الأمر الواقع هو ارادة البقاء اينما كانت عند النظام او عند الشعب، وخلال السنتين الاخيرتين (٨٦ - ١٩٨٧) انضم عدد كبير من ابناء الشعب الى خلايا المقاومة كما ان اعداداً من الجنود والشباب قد هجرت قراها ومدنها الى الاهوار في الجنوب، والجبال في الشمال للانضمام الى الميليشيات الشعبية التي بدأت في التشكل باتجاه انشاء جيش تحرير شعبي.

لقد عملت الماكينة الدعائية للنظام، والقوى المساندة له على اقناع الناس باستقرار النظام لكن المقاومة الداخلية هي اثبات لدجل هذا الاعلام، واذا كان النظام، او تلك القوى قد صدقوا الاعلام الذي صنعوه بأنفسهم فان الحقائق التي يصنعها الجهاد على الارض ستجعل من ذلك الاعلام نفخاً في شبك، خلاصة القول ان العمليات الجهادية هي بمثابة المنفاخ في النار الكامنة وراء الصمت الشعبي، فاذا تطورت هذه العمليات وتصاعدت فانها ستخرج الطاقة الكامنة من مكامنها وتفجر ثورة شعبية شاملة ضد السلطة.

□ يؤخذ على الحركة الاسلامية العراقية ابتعادها عن العمل السياسي وعدم اهتمامها بالتأثير في مراكز القرار الدولي ذات التأثير في القضية العراقية حيث اقتصرت علاقاتها على الجمهورية الاسلامية، فهل هو نهج صحيح ومقصود ام هو قصور وقلة تجربة؟

■ أميل الى صحة هذه الفكرة، واعتقد ان المعارضة العراقية عموماً - اسلامية وغير اسلامية - مبتلاة بهذه الحالة، وهي دليل على شدة الصدمة التي تعرض لها الشعب وطليعته المناضلة بحيث فقدوا ثقتهم بانفسهم. فذهبوا يبحثون عمن يحملونه مسؤولية تحريرهم، وسرعان ما وجدوا الجمهورية الاسلامية فحملوها الواجب الذي كانوا مكلفين به وهو تحرير انفسهم ووطنهم. وهذه - للاسف - طبيعة الانسان الذي يفقد ثقته بنفسه. فيبحث عمن يتحمل عنه اعباءه، وهنا كانت الجمهورية الاسلامية جاهزة. فهي ابتداء تخوض حربا دفاعية ضد النظام العراقي وتحتاج الى كل قوة صغيرة او كبيرة يمكن ان تحشدها في مواجهة هذه النظام. اضافة الى التضامن والمواساة التي شعر بها الايرانيون - قادة وشعبا - تجاه مآسي اشقائهم في العراق فقدموا الكثير مما يستطيعون لدعم المعارضة العراقية وتنشيطها، وفي بداية الامر احس العراقيون بأنهم قد استراحوا وان الجمهورية الاسلامية قد تكفلت باسقاط النظام نيابة عنهم ووجدوا من زين لهم هذا الاتجاه فالبسه اردية سياسية ودينية كثيرة من قبيل «وحدة الأمة» و «وحدة القيادة.. الخ» غافلا عن ان هذه المفاهيم والاطارات تعني التعاون وليس التواكل، وتعني تعيين التكليف باعتبار توفر العوامل المساعدة وليس الاعفاء، ان مسؤولية تحرر الانسان تقع على عاتقه اولاً واخيرا كما ان تحرر الشعب يقع على عاتقه اولا واخيراً، واذا شاءت

القوى الصديقة والشقيقة ان تدعم وتساعد فليس معنى هذا ان نتواكل عليها ونكلفها ما لا طاقة لها به او ما لا يقع في نطاق اولوياتها ومسؤولياتها المباشرة والفورية.

اليوم وبعد تجربة طويلة نسبياً في العمل الثوري اشعر بأن اغلب ـ اذا لم اقل كل ـ الفصائل المعارضة قد وعت ضرورة المساهمة في العمل السياسي من خلال العلاقات الدولية، وهي قد بدأت فعلا بممارسة مسؤولياتها في هذا الاتجاه واظن ان البعض قد قطع شوطا واسعا في هذا المضمار.

□ كيف سيسقط النظام في وطنكم ؟.. بفعل ثورة شعبية ام بانقلاب ام بوسائل أخرى.

■ لا ادري كيف سيحدث ذلك على وجه التحديد، لكني ارى ان الظرف الملائم لاسقاط النظام يحتاج الى توفر جملة من العناصر، بعضها توفر فعلا والبعض الآخر في طور التكون فاذا تكاملت هذه العناصر يصبح الباب مشرعاً امام التغيير ايا كان نوعه وادواته، واظن ان تحقق هذه الحالة لن يكون بعيداً ـ بأذن الله ـ.

□ خلال الثلاثين سنة الماضية كان الانقلاب العسكري وسيلة التغيير الوحيدة للحكومات في العراق، هل تتوقعون انقلاباً آخر يصنع نهاية الحكم القائم؟ اذا حدث ذلك فكيف ستتعاملون مع الانقلابيين؟

■ في ظل استمرار الحرب فان حدوث انقلاب عسكري بعيد الاحتمال

بسبب الظروف الخاصة التي توجدها الحرب، والتي من اهمها تراجع قدرة القادة على اتخاذ القرار او تنفيذ الارادات اضافة الى الرقابة الصارمة على حركة القطاعات العسكرية الصغيرة منها والكبيرة واضطرارها للبقاء في حالة استنفار دائم في اماكن تحددها القيادة السياسية غالباً. على ان تفتت الجيش او اختلال النظام فيه بصورة واسعة قد يؤدي الى قيام ظروف انسب، وهذا لا يحدث الا مع هزيمة كبرى او اضطرابات في القيادة العليا السياسية او العسكرية. كما ان قيام تحرك شعبي واسع النطاق يضعف قدرة النظام على ضبط الشارع بالوسائل التقليدية فيضطر للاستعانة بالجيش وهو ما يوفر له فرصة للانقضاض على السلطة. ففي مثل تلك الظروف يصبح الانقلاب العسكري احتمالا وارداً، أما في ظل الظروف الحالية فأني لا اتوقع انقلابا عسكرياً.

على اي حال نحن نحرض الجيش على التمرد وقلب نظام الحكم لانه - في اعتقادي - مرحلة من مراحل التغيير، وندعو العسكريين الى ممارسة دور ايجابي تجاه شعبهم ووطنهم، واذا ما قاموا بانقلاب فسيندعوهم لاعطاء فرصة للشعب كي يقرر النظام الذي يريده، يهمنا كثيراً ان يتاح للشعب فرصة التعبير عن رأيه، فاذا فعل العسكريون ذلك فسنتعاون معهم اما اذا اقاموا نظاماً قمعياً فسيكون موقفنا منهم استمراراً للموقف من النظام الحالي، ان مشكلتنا ليست مع صدام كشخص بل كمنهج قائم على مصادرة الحريات وقمع الشعب وتخريب البلاد.

□ يراهن بعض الاسلاميين على قيام ثورة شعبية في العراق كتلك التي حدثت في ايران، انتم ايضا تتحدثون عن ثورة شعبية لكنكم تدعون بصورة مباشرة الى تصعيد العمل العسكري في الداخل، ايهما سيكون السبيل لاسقاط النظام، ام ان هناك سبلا غير هذين؟

■ الله أعلم، لكن يبدو لي ان اي نظام لا بد له من احدى ثلاث طرق للسقوط، انقلاب عسكري من داخل الهيئة الحاكمة او من خارجها والاول يحتاج الى ظروف دولية معينة تتضمن اتفاقاً بين بعض اعضاء السلطة وبين الدول ذات التأثير على استبدال راس النظام بوجه اكثر مقبولية لضمان استمرار النظام، والثاني يحتاج الى ظروف اشرت اليها في اجابة سابقة، الطريق الثاني ثورة شعبية والثالث حرب تحرير شعبية، وهذان الطريقان في اعتقادي اكثر احتمالاً في الوقت الراهن نظراً الى توفر بعض العناصر التي يمكن اعتبارها تمهيدات ضرورية لها، على ان العائق الاساسي الذي يقف عقبة دون قيام الثورة الشعبية هو القمع الوحشي وما يتركه من تأثيرات على نفوس الناس، ولذلك فأني ادعو باستمرار الى تصعيد العمل العسكري الفدائي داخل الوطن من اجل كسر حاجز الخوف واسقاط هيبة السلطة وارهاب الجلادين ورجال الامن الذين تعتمد عليهم السلطة في بث الرعب بين الناس، وباعتقادي ان تصاعد العمليات العسكرية وانتشارها جغرافيا سيوجد حالة من الانفلات وسيزيد من عجز السلطة عن ضبط الشارع وهذا سيدفع بابناء الشعب الى الاطارات الشعبية التي كانت في الماضي مجالاً للتعبير عن الرأي والاحتماء النفسي كالحسينيات والمساجد ومجالس العلماء ومجالس العشائر، ان عودة العشائر الى الالتحام والترابط في اطاراتها الخاصة سيعزل السلطة ويوجد العديد من السلطات أو اشباه السلطة بموازاتها وهو امر مهم لتشكيل الحالة الشعبية المنفصلة مبدئيا عن السلطة والمواجهة لها في المرحلة التالية.

ان المؤسسة الدينية لا تزال قائمة رغم ان النظام دأب على اضعافها وتمييعها وهي اطار واسع ومنتشر جغرافيا، ويحمل عداءً تقليدياً للسلطة، كما ان العشائر مثال مشابه ضمن ظروفه الخاصة.

اعتقد ايضا ان تفتت السلطة في العراق سيكون أسهل منالا مما حدث في ايران لانها سلطة غير منسجمة ويشعر اكثر العاملين في الحكومة بانهم مجبرين على قبول رؤساء اقل كفاءة ولا يتميزون عليهم الا بكونهم ينتمون الى الحزب

الحاكم او الى عشيرة أو مدينـة قادة الحزب الحاكم وهذا الامر شائع على مختلف الصعد من الجيش الى الادارة المدنية وحتى في الجامعة والقطاع التجاري.

اني اخشى من انقـلاب كبير ودموي يتركز فيه كل ما تجمع في النفوس من احقاد وثارات اججهـا الحزب الحاكم طيلة العشرين سنة الماضية من حكمه القمعي.

★ ★ ★

المَسْألةُ الكُرْدِيَّة

□ تطالب الحركة الكردية المعارضة باقرار الحركة الاسلامية بحق الشعب الكردي في الحكم الذاتي لكردستان العراق، باعتباره الضمان المعقول لمنع تجدد الظلم الذي يعاني منه الاكراد منذ زمن طويل. ما هو رأيكم في هذا المطلب، ضمن التصور العام للقضية العراقية؟

■ فيما يتصل بالقضية الكردية في عراقنا الجريح أظن انه كان بالامكان ان تحل بصورة سهلة لولا التعقيدات التي صنعتها سياسات الأنظمة التي تتابعت على حكم العراق.

وليس لنا ان نتصور بانها سوف تحل بصورة اعجازية بمجرد ان يسقط نظام الطاغية صدام ويعلو على كرسي العراق نظام حر منبعث من ارادة الشعب ومن ايمانه.

كما انه من السذاجة بمكان ان يفكر احد بان ثورة ما أو حركة ما قادرة على ان تعطي شيكاً أبيض لجماعة أو فئة أو مجموعة من ابناء الشعب يطالبون بحق معين، وذلك لان اثارة مطالبات معينة قبل ان ينتقل الحكم من يد السلطات الظالمة الى أيدٍ امينة هذه الاثارة سوف تكون سبباً لاثارة حساسيات كثيرة

ومتنوعة داخل الوطن الواحد مما يؤخر الفتح والنصر إلى اجل غير معلوم.

من هنا ليس لنا في هذه المرحلة الا ان نضع التصورات الأولية التي عبرها نستطيع ان نستشرف المستقبل وان نحدد الاستراتيجيات المستقبلية لمستقبل جهادنا ضد الطغمة الحاكمة في العراق. من هذه النقاط الاستراتيجية هي ان العراق لا بد ان تكون دولة واحدة وشعباً واحداً وان أي تفكير في تجزئة الوطن إلى قسم شمالي وآخر جنوبي وثالث وسط انما هو تفكير غير عقلاني لان العراق ليس دولة كبرى من حيث المساحة والامكانات، العراق دولة متوسطة ذات إمكانيات محدودة وتجزئة هذه الدولة ليست في مصلحة أي فئة من ابناء شعبه.

النقطة الأستراتيجية الثانية: أن كل ابناء الشعب في العراق في جنوبه ووسطه وشماله كل اولئك احرار في اختيار المستقبل الذي يريدونه لانفسهم وأي تحديد لطبيعة الوضع المستقبلي يجب اخضاعه مبدئياً لاختيار الشعب، ولان هذا غير ممكن راهناً فهو مؤجل بصورة اتوماتيكية إلى ما بعد الفتح وحصول الشعب على حرية القرار والاختيار وليس من الصحيح نفرض على الشعب سلفا بعض المفاهيم او الأفكار أو الاستراتيجيات المحددة.

ان الشعب العراقي ـ جمع ابناء الشعب في العراق ـ يعتز بالشمال وابناء الشمال ولا يفكرون في يوم من الايام في أن ينفصلوا عنهم لكن في أطار هذه الوحدة لا بد ان يكون لكل ابناء وفئات الشعب العراقي الحرية الكاملة والحقوق المتساوية، وانا لا استبعد ان يحكم العراق في يوم ما حزب أو جماعة أو حتى شخص ينتمون الى اخواننا الاكراد، كما اننا لا نستبعد أن يحكم العراق رجل من ابناء الجنوب أو الوسط أو بالتالي من اي جزء ومن اية فئة في العراق.

النقطة الاستراتيجية الثالثة: ان هناك حقاً مهضوماً وظلماً تاريخياً متراكماً على ابناء شعبنا المسلم في شمال العراق، يجب ان نأخذ بعين الاعتبار هذا الحق وهذا الظلم الذي تعرضوا له ونعمل سوية لاعادة الحقوق الى اصحابها.

وحتى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بطريقة او بأخرى وذلك عبر اثارة الحساسيات تجاههم في مختلف الاجهزة فيجب ان نأخذ بعين الاعتبار هذه الحالة ونعيد الحالة الأولى، حالة الأخوة الإسلامية التي كانت سائدة في العراق في القرون الماضية نعيدها الى طبيعتها الأولية.

لغة هذا الشعب، هذه اللغة التي تحمل في طياتها الكثير من تراثنا وتاريخنا وحضارتنا ومكاسب شعبنا المسلم في العراق، هذه اللغة يجب ان تبعث ليس على مستوى الجزء الشمالي وانما على مستوى القطر بصفتها لغة رسمية للشعب العراقي إلى جانب اللغة العربية، التي لا ريب ان أخواننا في شمال العراق يعتزون بها ليس فقط لانها لغة العراق الرسمية وانما لانها ايضا لغة دينهم ومبادئهم وهم أكثر الناس تشبثاً والتزاماً بهذه المبادىء وهذا الدين.

امجاد هذا الشعب في شمال العراق يجب ان يعرفها كل ابناء العراق من شماله الى جنوبه، باعتبارها امجادهم وتاريخهم ويجب ان لا نركز الضوء على جانب من امجاد الشعب وترك الجوانب الأخرى منها.

ضمن هذه النقاط يجب ان ندرس بشمولية وعمق هذه القضية التي حولها الاستعمار الى عقدة في تاريخ العراق الحديث.

ولو صفت النيات وتلاقحت الأفكار وتوضحت الاستراتيجيات فان فك هذا اللغز أو هذه المشكلة التي جعلها الاستعمار عقدة سوف يكون سهلاً وميسوراً.

من الطبيعي في ظل الطاغية الحاكم ببغداد ان يعيش الجميع حالة الشك واللاثقة لأن من وسائل واساليب الطغاة هو اثارة اللاثقة والشك في الأمة، كما ان حالة الشك واللاثقة هي الأرضية المناسبة لنمو الطغاة وهي من آثار تحكم الطغاة في البلاد.

الانسان المظلوم المهتضم والمغتصب حقه، لا بـد أن يتساءل: كيف أخذ حقي وكيف احافظ عليه وكيف احصل على ضمانات للمحافظة على هذا الحق. هذه التساؤلات قد تنعكس شكاً وريبة تجاه المواطنين الآخرين. وهـذه اللاثقـة والشك الموجودة عند بعض اخـوتنا في الشمال موجودة بنفس المقدار عند اخـوتنا في الجنوب، الكل يتساءل: اذا حصل تغيير، كيف نحافظ عليه، اذا حصلت وعود كيف نضمن تحقيقها، والجميع يعرفون اننا جميعاً نقف الآن في خندق واحد وجميع الذين يقفون في خندق معارضة صدام مظلومون، لا فرق بين مظلوم في شمال العراق او في جنوبه او في وسطه، اذن يجب ان تكون هناك ضمانات للجميع، والضمانات ليست اوراقاً تكتب أو وعوداً تعطي أو كلمات تقال، بل الضمانات هي ايجاد حالة من الأخوة داخل الشعب، اعظم ضمانة لاستمرار حالة معينة هي وجود ارضية لهذه الحالة، ارضية نفسية، ارضية ايمانية، وتشابك المصالح، حينما تشابكت مصالحنا وتوحدت اهدافنا وتماسكت تنظيماتنا وصفت قلوبنا وسادت الأخوة الاسلامية بيننا بالخير والاحسان فأن كل ذلك ضمانات لتحقيق مستقبل افضل، اما غير هذه الضمانات فهي في الواقع غير ذات قيمة وعلينا ان نكون جديين في امتصاص الحساسيات التي قد تبث هنا وهناك وتهدف الى ايجاد حالة من اللاثقة او تعميق هذه الحالة بين ابناء الشعب لتفجير الصراعات حالياً او مستقبلاً.

★ ★ ★

المعَارَضَة : حُدودُ الخِلاف

□ **كل القوى الدينية التي تعمل على الساحة العراقية تشترك في هدف واحد هو اسقاط صدام واقامة دولة اسلامية، ولكن هناك خلاف في اساليب محاربة النظام وفي بعض البرامج ان صح التعبير. فهل لكم ان تلقوا نظرة على هذه الخلافات، اين تكمن؟ وهل انها من النوع الذي يمنع العمل الموحد بين القوى الدينية؟ واذا لم يكن هذا الخلاف يمنع العمل الموحد، فالى اين وصل التنسيق فيما بين التنظيمات حسب اطلاعكم؟**

■ لا يستطيع احد ان ينكر وجود خلافات بين فصائل الحركة الاسلامية العراقية، الا ان هذه الخلافات ليست من النوع الذي يمنع الوحدة او حتى التنسيق، لا اقل بين أطراف المعارضة الدينية المتواجدة في ايران.

ولكن تبقى هناك أسئلة هي:

اولاً: على ماذا نختلف؟

ثانياً: هل نحن نسير في طريق الوحدة، ام في طريق التفرق، ام بين بين؟

ثالثاً: ما هي العوامل التي توجد الوحدة؟

شخصيا لم اجد بعد الجلسات المطولة مع كافة فصائل المعارضة الدينية، ما يمكن أن يسمى سبباً ملموساً للخلاف، الخلاف الموجود يمكن ان نرجعه الى ظروف الارهاب وانعدام الحرية في العراق الأمر الذي جعل كل جماعة تعمل في جهة دون التنسيق مع الجماعات الاخرى. من هنا نشأت عوامل عدم الثقة بين الفصائل، ويمكن القول ان سبعين بالمئة من الخلافات راجع الى اتهام كل طرف للطرف الاخر بالضعف، وهذا راجع لعدم معرفة كل طرف لحقيقة حجم الطرف الآخر داخل العراق. اما حجم كل طرف في الخارج فليس بمقياس.

اما للاجابة على أنه هل نحن نرتقي سلم الوحدة ام نتدحرج في منحدر الخلاف؟ فالذي يبدو لي اننا نرتقي سلّم الوحدة، مثلا اتذكر أنه أجريت مقابلة مع بعض الاخوة من حزب الدعوة الاسلامية في الايام الاولى من وصولهم ارض ايران قالوا فيها: اننا لم نسمع بمنظمة تسمى منظمة العمل الاسلامي في العراق، اما الان فان حزب الدعوة الاسلامية يعترف بمنظمة العمل الاسلامي كقوة قائمة في الساحة.

ربما كان هذا الاعتقاد موجوداً أيضاً عند بعض الاخوة في منظمة العمل لدى تقييمهم لقوة حزب الدعوة، الا ان هذا سيزول مع مرور الايام. الايام ستردم هذه الفجوة كلما تعرّف الفصيلان على بعضهما بشكل جيد، وتعاملا بواقعية أكثر فالواقعية اساس التعاون والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: **﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** (٨) ولم يقل لتعاونوا، لأن المعرفة قاعدة التعاون. ان الخلافات موجودة بين فصائل المعارضة الدينية العراقية ولكنها خلافات محدودة ومحدودة جدا، وان نقاط القوة اكبر واكثر من نقاط الخلاف، خصوصا ان جماهيرنا شاهدة اليوم على الوحدة فخطباؤنا يركزون وبقوة على ضرورة الوحدة والوحدة اصبحت قضية تطالب بها كل الجماهير والحركات ليست كالحكومات المفروضة لا تحتاج الى الجماهير اننا نحتاج الى الجماهير لأنهم الوسط الذي نسبح فيه، وبهم يكون امتدادنا الطبيعي.

اما الاجابة على السؤال الثالث: ما هي العوامل التي توجد الوحدة؟ فالذي اتصوره ان الذي يجعلنا نتوحد اكثر هي مجموعة امور اهمها تشكيل مجلس اسلامي ثوري.

فما دمنا في ايران دعنا نجتمع كلنا ـ حركات واحزاب وافراد مستقلين من السنة والشيعة ومن الاكراد والعرب ـ نجتمع لنبدأ التحرك جميعا في اطار مجلس اسلامي ثوري تتوزع فيه القوة السياسية بين جميع الاطراف، ويمكن ان تتخذ جميع الاطراف مجتمعة ناطقاً رسمياً باسمها.

ان شعبنا في العراق تعب من الحكم الديكتاتوري وهو يريد اليوم حكما ديمقراطيا، يريد حكم الجماهير. لذلك لا بد ان نعطي الشعب فرصة للاختيار وهذه الفرصة تكون عبر المجلس الاسلامي الثوري الذي يعلن عن انتخابات حرة بعد فترة ثلاثة او أربعة اشهر من تشكيله. وكما يقول المثل (هذا الميدان يا حميدان) واذا كنا ذاهبين الى الميدان، فلا نستعجل الأمور. لأن الأمور مرهونة بأوقاتها.

□ لدى حديثنا مع قوى المعارضة العراقية، لاحظنا أن هناك اجتهادات عديدة حول الثورة الاسلامية في العراق وسبل نجاحها. هل لكم ان تبينوا لنا وجهة نظركم بالموضوع؟

■ في البدء احب ان اقول ان اساليب العمل في العراق تختلف عن تلك التي كانت وراء انتصار الثورة الاسلامية في ايران. هذا الاختلاف في:

أولاً: دور القوى المحركة للجماهير. ففي ايران لم تلعب الأحزاب السياسية الدينية دوراً حاسماً وهاماً في الثورة، لان الجماهير كانت ملتفة حول العلماء الذين

كانوا يتخندقون في المساجد في ظل وضع يسمح لهم بان يجمعوا الاصحاب، ويتحركوا ويحركوا الساحة. اما في العراق فان هذا الطريق مسدود، لان صدام استطاع ان يهدم كل الاسس للكيان الديني وللمؤسسة الدينية، او لا اقل يعرضه لضربات قوية. لذلك نحن نحتاج في العراق الى التنظيمات السياسية التي تشكل الرابط بين القيادة الدينية وبين الجماهير.

ثانياً: اسلوب التظاهرات قد لا نحتاج اليه في العراق وقد لا نتوصل اليه، في ايـران سمحـت الظـروف ان تبرز الجماهير للتظـاهـر، امـا في العـراق فـان الدكتاتورية القوية والعنيفة لا تدع مجالاً للتظاهر. التظاهرة هناك تقتل وهي في المهد، فمثلاً احد الرجال في مدينة الثورة في بغداد، سمع بان ابنه مقتول فخرج هو وزوجته وبناته الى الشارع، يهتفون بسقوط صدام، مع مجموعة صغيرة من الناس الذين لم يتجاوز عددهم الخمسة عشر، ليصبح المجموع عشرين نفرا. ولكن هذه المجموعة ما ان وصلت الى رأس الشارع، الا وكانت قوى الامن المحيطة بها اكبر عدداً منها. فأخذوهم جميعا وانتهوا بهم الى جهة مجهولة.

اذن فاسلوب التظاهرات ليس مجدياً في القريب العاجل وقد لا نحتاج اليه اساسا. وهذا يعني ان النظام قد يسقط بأهون من ذلك، يسقط بتخلخل سيطرته على الشعب، بعملية واحدة كعملية ٢٢ بهمن في ايران يوم انتصار الثورة بانتفاضة جماهيرية في يوم واحد يصحبها وجود طليعة مسلحة، هذا الترابط بين الجماهير والطليعة المسلحة يبدو مجديا ولكن حينما يحين وقته. وحينها ستخرج الجماهير الساخطة، والمجموعات التي ستلتحق بها من أبناء الجيش مع أول فرصة للالتحاق، ومجموعات وأفراد الجنود الفارين من الخدمة العسكرية، الذين يملأون السراديب والقرى النائية والأهوار، هؤلاء الذين وصلوا الى حالة قريبة من الصفر لانه ليس لهم أي ملجأ.

نحن اليوم لا نحتاج في العراق الى عمل بسيط كالذي كنا نحتاج اليه في فترة السبعينات (٧٥ - ٧٦) لان الوضع الآن اختلف عنه في ذلك اليوم. في ذلك اليوم كان الركود السياسي مسيطراً، وكنا نحتاج لخرق ذلك الركود. اما اليوم

فقد انكسر هذا الركود ولم يبق غير جدار الخوف الذي سيكسر حين يصل شعبنا الى درجة من اليأس يتساءل معها: الى متى نخاف؟ خفنا فذبحوا أبناءنا، خفنا فاودوا بنا الى اسوء المهالك. ان الجبن قد يتحول في لحظة الى شجاعة خارقة، وانا انتظر هذه الحالة في العراق.

العمليات الفردية التي يقوم بها ابناء الشعب من الذين لا ينتمون الى حركة او حزب، كاغتيال رجال الامن او المسؤولين الحكوميين او ما اشبه، هي نموذج للتحول المنتظر لدى شعبنا في العراق، هذا الشعب الذي جرّوه الى حرب دخلها مجبراً ليخرج منها مهزوماً. وليس امراً هيناً ان يخسر شعب حربا، انه امر بالغ الأثر بالنسبة الى الشعب العراقي.

انني اشبه دائما تأثير هذه الحرب بالتأثير الدي أحدثته قنبلة هيروشيما في اليابان، قنبلة هيروشيما لم تتفجر على الارض اليابانية فقط، انما تفجرت في عقول اليابانيين، كذلك هذه الحرب، تأثيرها لن يقتصر على سقوط النظام البعثي بل أنها ستغير الحالة النفسية للشعب العراقي. من حالة الغيبة عن الساحة، والتفرق والاحادية، الى حالة الوحدة والتماسك والحضور في الساحة.

نعم، نحن نحتاج الى العمليات العسكرية الكبيرة، لأن من شأنها أن تزيل الخوف المعشعش عند الجماهير، مع انها عمليات تكلفنا الكثير خاصة من شباب الحركة الاسلامية.

فالتظاهرات العادية غير مجدية في العراق اذن الا في ظروف معينة كسقوط وجه من وجوه النظام، وخلال فجوة تبدل الوجوه، والعمليات المسلحة الفردية الصغيرة هي الاخرى لا تجدي كثيراً، والعمليات المسلحة الكبيرة تنفع ولكنها مكلفة، البديل الأفضل في الساحة العراقية هو التظاهرات المسلحة في لحظة يكون بها انشاء الله تحقق النصر.

ان مهمة الشعب العراقي هي أن يستعد لتلك اللحظة، وكذلك على القوى الاسلامية ان تحافظ على نفسها وتعمق ارتباطها بالجماهير وبضباط الجيش الناقمين على الوضع والذين لا يعرفون كيف يعملون. وفي لحظة من اللحظات

سيقوم الجميع قياما واحدا ليكونوا الرصاصة التي تقود الشعب نحو التخلص من اخطبوط البعث القاتل ورأسه المتجبر صدام.

□ نسمع بين فترة وأخرى عن ظهور تنظيمات جديدة على ساحة المعارضة العراقية، هل تعبر هذه الظاهرة عن أزمة في وسط المعارضة؟ وهل تعتبرون ظهور تنظيمات جديدة ظاهرة صحية في العمل الوطني؟

■ التنظيمات الجديدة اذا كانت تعبر عن اشتراك قطاعات جديدة من الجماهير في العمل السياسي، فهي ظاهرة جيدة ويجب ان نشجعها ونباركها، بينما اذا كانت تدل على انقسام في التنظيمات السابقة وتفجر للصراعات الكامنة فيها فانها لا تدل على وضع صحي، بل تدل على أزمة تعيشها الحركة السياسية في تلك المرحلة. ذلك ان الصراع مع النظام ـ اي نظام ـ لا يعني فقط الصراع مع مكوناته الخارجية المتمثلة في أرهابه واعلامه ووسائل قوته، وانما يعني أيضاً الصراع مع الذات وتفجير السلبيات المعشعشة في المجتمع والتي تمثل عاملاً رئيسياً في استمرار مثل ذلك النظام.

ولا ريب أن تعدد فصائل المعارضة يعكس جانباً من سلبيات المجتمع، هذه السلبيات تمثل الجزء الرئيسي من مكونات حالة التخلف الذي يكشف عن نفسه في صورة مقاومة للتيارات النهضوية التي تقوم في المجتمع بين حين وآخر، وفي حالات أخرى يكشف التخلف عن نفسه في صورة عجز عن التوصل الى وفاق اجتماعي حول الحاجات الرئيسية لمجموع الناس التي توضع ـ لاحقاً ـ كمحاور للعمل الجماعي، ان البديل الطبيعي عند فشل الجهود الرامية الى الوحدة هو توجيه الجانب الاكبر من طاقة العمل الخاصة بكل فصيل على حدة باتجاه تحصين

كيانه الخاص واضعاف الفصائل الأخرى، وقيام حالة من التنافس الهدام تنتهي الى التشرذم وتخفيف الجهد الموجه ضد الطاغوت مع تركيزه ضد القوى الموازية والتي يفترض ان تكون حليفة في مواجهة العدو الواحد للشعب.

فظهور التنظيمات الجديدة في المعارضة، اذا كشف عن فشل في الاجتماع على محور واحد، او محاور رئيسية مشتركة، فأنه يدل على عجز في القيادة، او في برنامج العمل، عجز عن استيعاب العناصر الايجابية التي يفرزها صراع الجماهير ضد الطاغوت، ان الفعالية الثورية التي ينتجها هذا الصراع على الصعيد الشعبي يدفع المعارضة خطوات واسعة الى الامام، مما يحتم اجراء تعديلات في أطرها واساليب عملها لتنسجم مع متغيرات المرحلة الجديدة ولا سيما لاستيعاب الطاقات الجديدة التي دخلت في دائرة الجهاد.

فيما يرتبط بالقضية العراقية فأنه بالامكان اكتشاف كلا النوعين، فهناك تنظيمات جديدة ظهرت كتعبير عن دخول قطاع جديد من ابناء المجتمع الى دائرة الجهاد ضد الطاغوت، بينما في المقابل ظهرت تنظيمات أخرى او انشقت اجنحة من تنظيمات قائمة لتكشف عن عجز فيها و في فصائل المعارضة القائمة عن استيعاب المعطيات التي وفرها تطور الصراع ضد النظام العراقي، من المفيد الاشارة الى أن الحالة المأساوية التي نعيشها ـ كعراقيين ـ ومحدودية الدور الذي تلعبه المعارضة ضمن مجموع المعادلات المتعلقة بالصراع ضد السلطة العراقية، ساعد في تركيز بعض العناصر السلبية في العلاقات داخل صفوف المعارضة كما قلل من التوجه للتعارف السليم والاحترام المتبادل وامتصاص السلبيات والتخفيف من حدة الانقسام الداخلي.

□ من المفروض أن تكون مرحلة الصراع المباشر ضد السلطة هي مرحلة التوحد والتآلف باعتبار أن هناك قضية جامعة تجمع مختلف الافراد والتوجهات،

قضية حاسمة، شديدة الاثارة وقسرية، لا تسمح باستثناء أحد من الخسائر. فلماذا نجد في هذه الفترة بالذات ظهور المزيد من الانشقاقات في الساحة العراقية؟ هل لان القواسم المشتركة بين مختلف الاجنحة، بين المنشقين والمنشق عنهم ضعيفة الى درجة لا تنفع معها حتى سخونة الصراع في اقامة قواسم مشتركة، ام أن المسألة نابعة من تدخلات خارجية تستهدف تفكيك المعارضة واضعافها؟

■ أنا لا أميل الى اتهام الجهات الخارجية بصنع الانشقاقات، على الرغم من انني ايضاً لا أريد ان ابرئها. ولكن لا ريب أن بذور الخلاف موجودة حالياً في القوى المعارضة، كما أنني لا أرى صحة في اطلاق القول بأن انشقاقات وقعت في الحركات الاسلامية العراقية، لا أقل في هذه الفترة، حيث لا نجد انشقاقات ذات أهمية وان كان هناك انشقاقات فهي انشقاقات فردية حدثت بتأثير ظروف نفسية وفكرية للبعض ممن لم يعجبه العمل أو اساليبه.

خلال الخمس سنوات الماضية لم يحدث أي انشقاق يستحق الذكر، وانما وقع الانشقاق مع بدايات انتصار الثورة الاسلامية في ايران، ويرجع ذلك الى تغير في موازين القوى في الامة وبالذات فيما يرتبط بالعراق بظهور محور جديد هو محور الجمهورية الاسلامية، وبطبيعة الحال فأن ظهور مثل هذه القوة سوف يعكس ظلاله على الساحة على شكل تنظيمات جديدة، والذي ساعد على وجود مثل تلك التنظيمات هو بعض المسؤولين الذين لم يشجعوا على الوحدة ولم يضغطوا باتجاه الاجتماع في المراحل الاولى نظراً لضعف خبرتهم في الساحة، او لأنهم كانوا يريدون ان يثبتوا هذا المحور او ذاك على حساب المحاور

الأخرى، ولو عبر انشقاقات.

اما الآن وبعد ان اصبح هذا المحور قائماً وبعد ان تعود الناس عليه، وذهبت حالة المفاجأة والصدمة الأولى، فأن الجماهير اضافه الى المسئولين في الجمهورية الاسلامية عرفوا ما للوحدة من آثار ايجابية على الساحة، فلم يشجعوا على المزيد من الانشقاقات بل نجدهم في كثير من الاحيان يشجعون على المزيد من الوحدة والتلاحم.

□ الانفصام الموجود بين فصائل المعارضة العراقية هل يتعلق باختلاف في نظرية العمل الثوري، أم يرجع ـ اساساً ـ لاختلاف الوسط الاجتماعي الذي ولد فيه كل فصيل أم هو انعكاس لحقائق أخرى حاكمة في تاريخ او حاضر الحركة الاسلامية العراقية؟

■ في الواقع هناك عوامل كثيرة قد تسبب ظاهرة واحدة، خصوصاً من نوع الظاهرة الاجتماعية السياسية، حيث تتشابك العوامل التاريخية، السياسية والمصلحية أيضاً في ايجاد هذه الظاهرة، ولكن العامل الاكثر حسماً والرئيس لمثل هذه الخلافات هو عدم وجود عامل مساعد للتوحيد، لان الوحدة هي التي تحتاج الى عوامل ايجابية، وبمجرد فقدها او ضعفها فان ذلك يعني انهيار الوحدة، لان العوامل السلبية موجودة دائماً وضاغطة، باتجاه التعددية والانشقاق. ولعل ذلك ما نستوحيه من قول الله سبحانه وتعالى **﴿وألف بين قلوبهم، لو انفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم﴾**[٩].. فتأليف القلوب بحاجة الى ايمان قوي ورؤية واضحة وقيادة حكيمة تعطي كل ذي حق حقه والى مجموعة

كبيرة من العوامل الأخرى.. ويبدو لي ان التفاوت بين فصائل الحركة الاسلامية العراقية بالذات لا يرجع الى عوامل اساسية في تاريخ النضال او في المسائل الاستراتيجية الراهنة، والخلاف الموجود ليس خلافاً حاداً، وكما قال أحد قيادات الحركة الاسلامية: (الاختلافات بين حركة وأخرى ليست بحجم الاختلافات داخل الحركة الواحدة، بل قد نجد داخل الحركة الواحدة من الاختلافات النظرية اكثر مما نجدها بين حركة واخرى ومع ذلك فهذه حركة وتلك حركة بسبب تلاشي عوامل وحدتهم). وعلى هذا فالاختلاف الموجود نابع من انعدام حوافز الوحدة، ولو وجدت تلك الحوافز لصعب على عوامل الفرقة مقاومتها.

▫ هناك من يعتقد بأن تعدد فصائل الحركة الاسلامية العراقية هو تعبير عن حاجات مختلفة في الساحة، جعلت كل فصيل متميزاً عن الآخر في جانب من الجوانب، وفي المقابل هناك من يرى بأن هذه الفصائل هي نسخ مكررة عن بعضها وان ليس ثمة تمايز بين اي منها والآخر، ما هي وجوه التمايز بين الفصائل الرئيسية، وهل تعتبر الساحة العراقية ساحة متكاملة العمل بحيث يؤدي كل فصيل دوراً يتميز فيه على الآخر، ام انها نسخ متشابهة؟

▪ انا أميل الى القول بأنها نسخ متشابهة، ففي الجانب الثقافي نلاحظ أن كل الحركات الاسلامية العراقية تهتم بهذا الجانب وتربي افرادها عليه. واذا كان هناك اختلاف، فهو اختلاف بسيط في الجانب العسكري

فبعض الفصائل لم تول - في الماضي - العمل العسكري أهمية كبرى، الا أن الفصائل الاسلامية الرئيسية التي نعرفها اليوم اضحت جميعها تؤمن بالعمل العسكري. وكذلك فيما يرتبط بولاية الفقيه والاعتقاد بقيادة العلماء، أو حتى الاعتقاد بمحورية الامام - حفظه الله - للتحرك في الساحة العراقية، اضافة الى الرؤية المشتركة فيما يرتبط بمستقبل العراق والركائز الاساسية لسياسة كل فصيل في المستقبل، ودعوتهم الى قيام حكم اسلامي قائم على اساس ديمقراطي حر، هذا مما يتفق عليه الجميع تقريباً. وليس هناك فصيل يتميز عن غيره في بعد من الأبعاد، على أن هناك في كل فصيل تركيزاً على عنصر معين من عناصر العمل الثوري يجعله متقدماً على غيره في هذا الجانب. فلعل حزب الدعوة الاسلامية يسبق سائر الفصائل في الاهتمام بتربية الكوادر، ومنظمة العمل الاسلامي تسبق سائر الفصائل فيما يتعلق بالعمل الجهادي والعسكري داخل العراق، وكذلك حركة المجاهدين العراقيين التي قامت بعمليات عسكرية كبيرة في داخل العراق وبالتالي فهي تؤمن وتخطط لتنفيذ عمليات عسكرية.

□ في نظركم لماذا لم تستطع الحركة الاسلامية في العراق حتى الآن ان تكوّن مجتمعاً منسجماً موحداً؟ هل هذا راجع الى عوامل ذاتية تتعلق بمقومات كل تيار وكل تنظيم؟ أم ان المسألة اكبر من ذلك؟

■ في الواقع ان الاختلافات بين فصائل الحركة الاسلامية في العراق ضئيلة جدا اذا ما قيست بمثيلاتها لدى الحركات السياسية التي عاشت ظروفا مشابهة، ولكن لكي يتم التحول من حالة الاختلاف هذه الى الانسجام ومن ثم الى التلاحم والوحدة الحقيقية، لا بد من توافر ظروف معينة لا تزال غير متكاملة في العراق. اهم هذه الظروف هو وجود تيار جماهيري يكوّن

ارضية للوحدة ومسرحاً لتجليها، هذا التيار لا يزال غير ظاهر الوجود.

ان وجود بعض الاختلافات الاجتهادية لا تؤثر على مسيرة الحركة الاسلامية في العراق، ذلك ان الفصائل الجهادية العراقية ان تكن تختلف في بعض التصورات التفصيلية فانها - وذلك هو الاهم - تتفق في الاستراتيجيات الاساسية التي منها مثلا:

ان الحركة الاسلامية في العراق اليوم تؤمن وبكل فصائلها، بقيادة الامام الخميني اي بقيادة واحدة، وهذا مظهر وحدوي هام.

وان اكثر فصائلها تؤمن بالكفاح المسلح الاستراتيجي بندا من البنود الاستراتيجية للمرحلة القادمة والتوافق على هذا البند الاستراتيجي يعني التوافق على اهم مقومات الوحدة.

هذا أضافة لوجود مقدار لا بأس به من التعاون البنّاء بين الفصائل المختلفة للحركة الاسلامية العراقية، فالقيادات تجتمع مع بعضها وتتصل وتتزاور، وهذا لا ينفي وجود بعض الخلافات بين انصار هذا الفصيل وذاك، لكن وجود هذا القدر من التعاون يرسخ الوحدة. اما الانتقال بالحال من مرحلة التعاون الى مرحلة الوحدة، فأنه منوط بالجماهير.

★ ★ ★

المجلس الاعلى

□ يتردد في بعض الاوساط الاسلامية، أن المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق مشلول أو قليل الفاعلية، كيف تقيمون تجربة المجلس منذ تأسيسه وما هي الحلول التي تطرحونها لعلاج العوائق التي تعيق مسيرته اذا كانت هناك عوائق؟

■ كان المجلس الاعلى خطوة أولية لتوحيد الحركات الاسلامية العراقية، والجمهور العراقي استقبل هذه الخطوة في البدء بترحاب، الا أنه وضع آمالا اكبر من حجم هذا المجلس.

وحينما بدأ المجلس اعماله وجد أمامه جمهوراً كثير التمنيات، عريض الآمال، لكنه - في المقابل - غير مستعد لرفع مستوى جهاده وتضحياته الى المستوى المطلوب لبلوغ تلك الأماني، وهذه الحالة تجلت بصورة أوضح عند العراقيين المهاجرين والمهجرين، هذا اضافه الى العقبات المتراكمة التي افرزتها طبيعة الصراع وتشعباته، بسبب وحشية السياسات التي طبقها النظام العراقي بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ م.

كان هناك من يعتقد بأن المجلس سوف يتجاوز تلك العقبات، وسوف يستقطب ثقة الجمهور العراقي، مما يسهل زيادة الفعالية في جبهة المقاومة ضد

النظام، لكن المشاكل كانت اعتى من ان تحل بالاماني، فالمجلس في هذا الوضع تعرض لزوبعة من التمنيات والاحلام والتوقعات والعقبات التي شلّت حركته.

اضافة الى هذا وذاك، فالمجلس في داخله ايضا لم يستطع ان يتجاوز المشاكل الموروثة من المرحلة السابقة على تأسيسه، ومن ابرز هذه المشاكل حالة المحورية الذاتية أو الحزبية او الجهوية، فكل جهة او جماعة قاومت احتمالات الذوبان في المجلس باستثماره لتدعيم كيانها الخاص، بينما كان العكس هو المفترض، استثمار طاقات كل كيان لتدعيم الكيان الجماعي الموحد الذي يمثله المجلس الاعلى.

وفي هذا الجو كان على المجلس ـ كمؤسسة ـ ان يفك الحصار المضروب عليه بتكريس الثقة التي أوْلتها اياه الجمهورية الاسلامية واستثمارها لحل مشكلات العراقيين المهجرين خارج بلادهم، وهذا لو تحقق فسيعطيه ثقة الجماهير المطلقة وولاءها السياسي، ويجعل منه ـ في نهاية الأمر ـ قوة فاعلة اساسية وقادرة على تجاوز كل جهة بمفردها، ولكن الذي استخلصه من مجمل التطوّرات، ان رؤية واضحة لحقيقة المشكلة وطريق معالجتها، لم تكن متوفرة لدى المجلس ـ القوى المؤثرة فيه بالخصوص ـ وكان الكثير من الجهد يصرف في محاولات التوفيق ـ ولو ضمن الحد الأدنى ـ بين مطالب وحاجات الجمهور العراقي ـ سيما المهجرين الى ايران ـ وبين مطالب المسؤولين في الجمهورية الاسلامية الذين كانوا يتوقعون من المجلس عملاً سريعاً لتعبئة العراقيين في ميدان الجهاد، وأحد الامرين ما كان يتم الا بوجود الآخر، والحقيقة ان الفشل في انجاز كليهما بالصورة المطلوبة ساعد ـ اضافة الى أمور أخرى ـ في تشكيل صورة قاتمة لهذا الطرف في عين الطرف الآخر. أظن أن الجهة التي كان على المجلس ان يتفاعل معها بصورة أفضل هي فصائل الحركة الاسلامية، لان الجمهور العراقي الاساسي ـ وأقصد به جمهور داخل العراق والقطاع الفاعل من الجمهور العراقي في الخارج ـ متمثل ـ بصورة مباشرة او غير مباشرة ـ في اطاراتها.

ان المهاجرين العراقيين الذين استوطنوا في المهجر يصعب ـ نظرا لظروف معينة ـ تحريكهم والاعتماد عليهم لمقاومة نظام شرس كالنظام العراقي، ثم أن عددهم ليس كبيراً وهم خاضعون لمعادلات البلاد التي يعيشون فيها سواء في ايران او في سوريا او في اوروبا.

وعلى العموم فتأسيس المجلس الاعلى خطوة متقدمة كان يجب ان يسبقها توجه للتنظيمات وللتعاون معها بصورة افضل لتكون جسراً بين المجلس والجمهور ولكسب ثقتها وثقة الجمهور معاً.. حتى يؤدي المجلس دوره الحقيقي في الساحة كتجمع وحدوي، لا كبديل عن الحركة الاسلامية القائمة فعلاً.

اما في مثل هذا الوضع القائم حيث يريد المجلس ان يرضى الجميع وفي طليعة هؤلاء الجمهورية الاسلامية، فأنه لن يستطيع لعدم قيامه بانجازات حقيقية، ومن ثم فأن دعم ومساعدات الجمهورية سوف تقل، والجمهور بدوره سوف يفقد ما تبقى عنده من ثقة في المجلس، والحركات ستنفصل عنه خصوصاً اذا شعرت بانها قادرة على انجاز مسؤولياتها بالاعتماد على قنواتها الخاصة وكيانها المستقل.

□ هل كان المجلس بناء على ما تقدم محاولة للقفز على الحركات وتجاوزها؟

■ ظن البعض ان المجلس قد يكون بديلاً أمثل عن الحركات، ولعل هذا البعض قد سعى بشتى الطرق لتحقيق هذه الرؤية، التي كانت أحد المؤثرات المهمة التي ساعدت في خلق العراقيل امام المجلس، مما زرع شعوراً بالخطر عند الحركات تجاه هذه السياسة، وجعلتهم ينطوون على انفسهم وينكفئون، وهذا الوضع أدى الى ان يفقد المجلس ثقة الحركات ومن ينضوي تحت لوائها من مناضلين وجماهير.

ويبدو ان المجلس واقع في حالة الضبابية، فهو يعمل متردداً بين خطين:

خط الحركة الثورية، وخط السلطة الشعبية، فهو يشكل اعلاماً وقوة عسكرية احياناً، وهذا شأن الحركة الثورية، ولكن من جانب آخر يقوم بأعمال طبيعتها طبيعة سلطة شعبية محلية. فأظن أن العمل على هذين الخطين كلاهما أدخله بشكل واسع في المشاكل اليومية مع الناس ومع الحركات، وبالتالي فأن القضايا السياسية الرئيسية للعمل تأثرت بالانعكاسات السلبية لهذه المشاكل، واصبح المجلس بممارسته لدور (شبه السلطة) طرفاً، بدل ان يكون القائد. ولو أنه بقي اطاراً للتوافق السياسي بعيداً عن مجال التعاطي مع المشكلات اليومية للناس لكانت مساحته الواقعية داخل الحركات الممثلة فيه.

في الواقع ظروف نشوء المجلس في ايران اسبغ عليه طابع العمل السياسي للعراق، وطابع الاهتمام بمشاكل المهاجرين العراقيين في ايران، وكان من الممكن تجاوز مشاكل المهاجرين بانشاء مجلس آخر يهتم بمشاكل المهاجرين، اما الأول فيبقى مختصاً بشؤون الحركات والثورة الاسلامية في العراق. ونجد شيئاً شبيهاً لذلك في منظمة التحرير الفلسطينية فأنها في نفس الوقت الذي نجد هدفها المعلن هو القضاء على اسرائيل أو لا أقل النضال من أجل فلسطين والشعب الفلسطيني، نجدها متورطة في عشرات المشاكل اليومية التي تثقل كاهلها بسبب ان الشعب الفلسطيني "لا يمكن أهماله، أضافه الى ان الحكومات العربية احست بأن هناك مشاكل يومية كان من الصعب عليها ان تتعامل معها لسبب او لآخر، فاستعانت بمنظمة التحرير لحل تلك المشاكل، واضافة لهذا وذاك فأن المنظمة احست بان الذي لا خبز له لا يمكن ان تدعوه للجهاد والنضال فتورطت في خبز الآخرين. كان من الممكن تجاوز هذه الحالة بايجاد طريقة أخرى للتعامل مع الشعب الفلسطيني. ولكن على العموم ما دام المجلس في ايران، وفي ايران مجموعة من المهجرين والمهاجرين لهم مشاكلهم اليومية التي لا يمكن غمض العين عنها.. فمن الطبيعي ان يكرس بعض اهتمامه لهم وهذا وتبعاته سيكون على حساب المهمات الأخرى التي قد تكون اكثر اهمية وابلغ تأثيراً في المنظور الاستراتيجي.

حكومة منفى؟

□ هل تؤيدون قيام المعارضة العراقية بتشكيل حكومة منفى في الوقت الحاضر، او في حالة تحرير بعض الاراضي العراقية؟

■ لا أجد فائدة كبيرة ترتجى من تشكيل حكومة منفى لثلاثة أسباب:

اولاً: ان حكومة المنفى هي جهاز سياسي لادارة الجانب السياسي من الصراع ضد النظام، خاصة ذلك المتعلق بالمعادلات الاقليمية والدولية الحاكمة، او المؤثرة في منطقة الصراع، والترتيبات التي يفترض القيام بها لاحلال المعارضة محل النظام الحاكم في المحافل الدولية، وهذا الامر يصطدم بحقيقة ان الجانب السياسي في الصراع لا يزال محدود الاهمية والتأثير ومحكوماً بالتطورات في الجانب العسكري، ان ما يحدث في جبهة الحرب، وفي المواجهات المسلحة داخل المدن هو دينامو التطورات السياسية في القضية العراقية وليس العكس، من ناحية أخرى فان دول العالم لا تزال تصنف فصائل المعارضة العراقية كجماعات منشقة وارهابية، ولم نجد بين حكومات العالم (باستثناء ثلاث دول أو أربع) من يوافق - بشكل رسمي - على التعاطي سياسياً مع المعارضة باعتبارها تمثل الشعب العراقي، او باعتبارها قوى اساسية موازية للنظام، فالعالم مجمع - رسمياً او ضمنياً - على تأييد النظام القائم، او على أقل التقادير التعاطي معه باعتباره يمثل الأمر الواقع، وحتى الحكومات التي توصف بالتقدمية وتتعاطى مع

المعارضة العراقية مثل ليبيا واليمن الجنوبي، حتى هذه الحكومات لم تقطع خيوطها مع النظام العراقي، ولم تتعاط مع المعارضة باعتبارها البديل، والممثل الشرعي للشعب العراقي، وفي مثل هذه الظروف لن يكون لحكومة المنفى اي وجود فعلي خارج الاسم والأطار الذاتي، ان دائرة الصراع في الوقت الراهن ضيقة الى حد لا يسمح بخطوة سياسية من هذا النوع، ومتى تغيرت المعادلة القائمة وتلاشت الحدود الراهنة للقضية، فقد يكون للحديث يومئذ محل.

ثانياً: ان قيام حكومة المنفى يستدعي - اوتوماتيكيا - أثارة النقاش حول طبيعة النظام الذي تريد المعارضة اقامته كبديل عن النظام الحالي، وهذا النقاش رغم انه يساعد على بلورة وانضاج الوعي والطروحات الا أن قيامه في ظل الظروف الحالية للمعارضة والعلاقات الداخلية بين فصائلها سيؤدي حكما الى مزيد من التشرذم وتعميق الخلافات. ان المعارضة الاسلامية لم تتفق على تفاصيل المشروع البديل رغم اتفاقها على القواعد العامة، وهي تختلف مع المعارضة العلمانية في القواعد والتفاصيل، والمعارضة العلمانية تتباين طموحات اطرافها بين يمين يطرح مشروعاً ليبرالياً على النمط الغربي، ويسار يطرح مشروعاً اشتراكياً على النمط الشرقي معدلاً باضافة نتائج التجربة العربية للاشتراكية، ان قيام هذا الجدل سيؤدي - في تقديري - الى تكثيف العناصر السلبية في العلاقات القائمة بين فصائل المعارضة، وهو ما يقلقنا أشد القلق، فساحتنا لا تتحمل مزيداً من التفتت، ونخشى ان تستشهد القضية على مذبح الدفاع عن الكيانات الخاصة للفصائل، ولذلك أرى من الضروري تركيز الجهد النضالي على توفير الظروف المناسبة لاسقاط النظام وحالما يصبح الانتصار في متناول اليد، نبدأ يومذاك في النقاش حول البديل، واذا اتفقنا على الخطوط العريضة فسيكون من اليسير علينا اقامة حكومة منفى.

ثالثاً: يفترض أن تستمد اي حكومة قانونيتها من انتخاب الشعب لها في المرحلة الاولى والتفافهم حولها فيما بعد، وهذا الاختيار يجب ان يكون صريحاً وعلنياً كي يكون تمثيلها للشعب تمثيلاً شرعياً، وهو بالنسبة للعراقيين أمر غير

ممكن في الوقت الراهن، نظراً لان اكثرية الشعب في داخل البلاد غير قادرة ـ حتى عبر الممثلين ـ على التعبير عن رأيها بحرية ووضوح، كما أن العراقيين في الخارج ـ المهجرين والمهاجرين ـ مشتتون في شتى البلاد، وسيتعرضون لمشاكل في البلاد التي يقيمون فيها اذا ايدوا ـ علنا ـ حكومة منفى معادية للنظام العراقي.

هذه الصعوبات ترجع الى أن الظرف السياسي للمعارضة والمشاركة الجماهيرية في العمل الجهادي لم ينضجا بدرجة تسمح بممارسة حق اختيار الممثلين كأمر واقع يكتسب الشرعية من خلال الممارسة الواسعة والمستمرة كما ان مستوى التعاطي مع القضية العراقية لم يصل حتى الآن الى درجة اقناع الحكومات التي يقيم العراقيون في اراضيها بالسماح لهم بممارسة هذا العمل بصورة رسمية.

بالنسبة للجماهير داخل العراق فان التعبير العلني عن اي شكل من اشكال المعارضة هو عمل انتحاري. فمستوى القمع الذي يمارسه النظام يفوق بكل المقاييس اي قدرة على التحمل، ولهذا فأن المعارضة لا تستطيع ممارسة هذا الدور الآن، ان المواجهات المسلحة والعمليات الفدائية في الشوارع هي التعبير العلني الوحيد الذي تمارسه المعارضة في الداخل.

★ ★ ★

قيادة الجهاد

□ القيادة عامل اساسي لتحقيق الوحدة الثورية بين الجماهير . فما هي أطروحتكم لحل مشكلة القيادة للثورة الاسلامية في العراق؟

■ في البدء أود القول أنه ليست هناك (مشكلة قيادة) منفصلة عن سائر قضايا الثورة. الثورة حقيقة واحدة تتفاعل قضاياها وتترابط، والقيادة جزء من هذه القضايا. وحينما نقول القيادة الثورية، فأننا لا بد ان نرمز الى قاعدة هذه القيادة وهي الجماهير، او القاعدة الثورية التي تستجيب للقيادة وتتفاعل معها. واذا عكسنا الامر وقلنا الثورة، فان الثورة هي الاخرى تفرز القيادة. ومن هنا أتصور بأن الادق أن نقول: ما هي عقدة الثورة في العراق؟

الثورة في العراق تسير سيرا تكامليا منذ سنوات قلائل، وخلال هذه السنوات لم تنتكس الثورة بالرغم من انها تعرضت لهجمات شرسة وقوية. وانما تكاملت وتعمقت وتجذرت رغم ان السير التصاعدي لها لم يكن بمستوى التطلعات وذلك لاسباب موضوعية وذاتية. اي اسباب مرتبطة بالظروف واخرى مرتبطة بالحركات الاسلامية وبالجماهير المؤمنة.

اما الاسباب الموضوعية التي أدت الى تباطؤ سير الثورة في العراق فهي: التفكك داخل الساحة والثقافة المتخلفة، وانعدام الوعي الديني او قلته. هذا من جهة، ومن جهة اخرى شراسة الهجمة الاستعمارية التي لم تسمح ببروز كيانات

سياسية قوية في الساحة تستطيع ان تدير دفة الصراع مع النظام المتسلط. الى آخر ما هنالك من اسباب موضوعية معروفة. اما الاسباب الذاتية فيعبّر عنها القانون الألهي: ﴿**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[١٠] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وان ليس للانسان الا ما سعى**﴾[١١].

الاسباب الذاتية هي، ان التيار الاسلامي لم يكن كله ثوريا بالمستوى المطلوب، بل كان ينقصه القرارات الحازمة، وتجاوز الذات، والتمحور حول محور واحد، اضافة الى نقصان الرؤية المستقبلية والخطة الاستراتيجية الواضحة، واعتماد الاساليب العصرية التي هي بمستوى اوضاعنا في العراق وهذه النواقص كلها كانت نتيجة حتمية لنقصان الثقافة الحركية الكافية.

اذا تجاوزنا هذه المشكلة ـ الاسباب الموضوعية والاسباب الذاتية ـ، فإن قضية قيادة الثورة في العراق ستكون محلولة. ذلك ان القيادة انما تصنعها وتخلقها الامة الواعية، او لا اقل الطليعة الواعية. القيادة لا تصنع خارج الساحة انما تنبع منها. فاذا لم تكن هناك قيادة ثورية، او كانت ولم تكن بمستوى المرحلة، فلا يعني ذلك ان رموز هذه القيادة هم المسؤولون عن هذا الامر، انما الساحة كلها مسؤولة، برموزها وطلائعها وجماهيرها. ومتى ما أمكن حل هذه المشكلة التي تعترض انتصار الثورة في العراق، فان مشكلة القيادة بدورها ستكون محلولة، بالرغم من أنها أوضح وأبرز من المشاكل الأخرى التي تبدو غير مهمة والتي هي في الواقع متفاعلة ومتداخلة معها وغير منفصلة عنها.

اذن فبحل الاسباب الموضوعية والذاتية التي تكوّن المشكلة، نكون قد توصلنا الى حل مشكلة القيادة، وليس العكس، اي اننا لو افترضنا ان الله خلق قائدا ثوريا في مكان ما، بينما الأجواء لم تكن مناسبة والاوضاع لم تكن مهيأة، فأن وجود هذا القائد لا يعني شيئاً، كما ان وجود النبي صالح عليه الصلاة والسلام في قومه الذين لم يكونوا مهيئين لاستقباله لم يكن شيئاً، اذ لم يؤد الى اسعادهم، بل الى هلاكهم لانهم كذبوه وسخروا منه واستهزأوا بافكاره.

□ **كيف تكون الصلة بين المنظمة السرية التي تتبع أساليب التنظيم، وبين رجل الدين الذي ينبغي أن يشرف على عملها أو يوجهها توجيهاً أسلامياً وهو في نفس الوقت مطلوب منه العمل الظاهر بين الناس؟ هذا اولاً. وثانياً: أين تبدأ مسؤولية رجل الدين وأين تنتهي. وأين تبدأ مسؤولية رجل التنظيم وأين تنتهي في العملية السياسية؟**

■ مرة ننطلق في حديثنا لاستكشاف الواقع، ومرة نريد منه أن نطرح نظرية متكاملة بعضها مطبق وبعضها ينبغي أن يطبق. اذا كنا بصدد استكشاف الواقع ينبغي القول أن الكثير من نقاط الابهام لا تزال تحيط بهذه العلاقة بين علماء الدين وبين التنظيمات. وبالتالي بينها وبين الجماهير. وكثير من التنظيمات الاسلامية تقع في حالات من التخبط بسبب هذه العلاقة الغامضة التي لا تعرف أين تبدأ وأين تنتهي. والسبب في ذلك واضح، هو ان المشكلة الرئيسية التي تحيط بنا، هي ان التنظيمات بأساليبها الجديدة، خصوصاً الاساليب التي تتطور مع تطور أساليب الحكومات والانظمة، شي جديد على المجموعات المحافظة في الامة والتي تريد أن تفهم مواقف المنظمة من خلال المقاييس التي تؤمن بها، فهم لا يعرفون مثلا كيف يتعاملون مع هذا التنظيم، وكيف يجب أن يتعامل هذا التنظيم مع رجل الدين المرتبطين به، والذي عادة لا يعطيهم برامج عمل متكاملة خاصة فيما يتعلق بالمسائل التنظيمية وتفصيلات العمل السري.

ولي هنا نظرية ربما ترفع بعض نقاط الابهام في هذه الناحية. هذه النظرية تتكون من خمسة نقاط هي:

أولاً: ان لعالم الدين الفقيه الذي نسميه بجامع الشرائط، والذي تكون شرائط الاجتهاد وشرائط التوجيه وشرائط الكفاءة كلها متكاملة فيه، لمثل هذا

الفقيه الحق والصلاحية لأن يقود عملا سياسيا بكل أبعاده قيادة مباشرة، والاسلام أعطى للفقيه الجامع للشرائط صلاحية القيادة السياسية بكل تفاصيلها.

ثانياً: أن الجماهير لا تسلّم أمرها لأحد ما لم يثبت لديها صلاحيته وصدقه فيما يدعيه.

ثالثاً: لا تستقيم القيادة لأحد ما لم يتصد للمهام السياسية وبتعبير آخر، لا يكون له من الامر الا ما يتصدى له بنفس النسبة. فلو انبرى أحد علماء الدين لمهمة القيادة ولكنه لم يقدم فكراً متكاملاً للجماهير فأن الجماهير ستذهب وتبحث عن قائد آخر تجد عنده ما تفتقده من فكر في مختلف الجوانب الحياتية.

وتسأل لماذا؟ أقول: لأن التصدي من الشروط الاساسية التي يجب أن تتوفر للقيادة الدينية. والتصدي يتمثل في التقدم بأطروحات القيادة لمعالجة الأوضاع الراهنة للمجتمع الذي سيقوده.

رابعاً: في الاوضاع القائمة في بلادنا حالياً، علماء الدين ليس بامكانهم أن يتصدوا لكل القضايا التنظيمية وغيرها، لتشعبها.

وهنا يجب أن نقسم الامور: الاستراتيجية الرئيسية والخط العام للعمل والتوجيه يتحملها العلماء، بينما سائر الامور التفصيلية تترك الى من يتصدى لها ممن هو موثوق من قبلهم فيها، باعتبار ان الفقيه خبير وخبرته محدودة بحدود معينة، وكلما كان ابرز، كلما كانت خبرته أكبر وأشمل في القضايا الاستراتيجية.

أما الأمور التفصيلية فتفوض الى الموثوقين من قبلهم سواء كان الموثوق به حزباً أو منظمة أو مؤسسة اجتماعية، أو ما أشبه.

خامساً: في ظروف انعدام العالم الديني وسيطرة أجواء الارهاب في بلد من البلدان كالعراق مثلاً يتوجب على الشباب المسلم والطليعة الرسالية أن تكون من نفسها قيادة، هذه القيادة ينبغي أن تكون أقرب شيء الى القيادة الدينية.

□ **بالنسبة الى نظرية ولاية الفقيه، هل تتوقعون ان الشعب العراقي سيسلم لها كمنهج سياسي واجتماعي؟**

■ في ايران لم يسلم الشعب لنظرية ولاية الفقيه الا بعد ان عرف حقيقتها. والشعب العراقي اذا عرف حقيقة هذه النظرية وانها لا تخالف الحريات الشخصية ولا تخالف حرية الانتخابات العامة في البلاد، سواءا انتخاب الرئيس الاعلى للجمهورية او اعضاء مجلس الشورى او على كافة الاصعدة، وإذا عرف شخص الولي الفقيه بشكل مباشر، فأنه من الممكن ان يسلم له.

ولا ننسى ان الشعب العراقي سبق له ان حارب وبكافة قطاعاته سنة وشيعة، عربا واكراداً تحت ظل المرجعية الاسلامية يوم كانت متمثلة بالامام الميرزا محمد تقي الشيرازي (١٢) الايراني الاصل والذي عاش في العراق، وذلك في ثورة العشرين ضد المستعمر البريطاني يوم كانت بريطانيا الامبراطورية التي لا تغيب عن ارضها الشمس.

ثم ان مدن العراق المقدسة كانت مركزا لانطلاق الثورات، فثورتا التنباك والدستور في ايران انطلقتا من العراق حيث كانت قيادتها تقطن العراق، فالميرزا حسن الشيرازي (١٣) قائد ثورة التنباك كان يسكن سامراء، وآية الله الشيخ محمد كاظم الآخوند قائد ثورة الدستور كان يسكن في النجف الاشرف (١٤).

وكذلك المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٥) المعروف بصلابته وقوة موقفه امام السلطات العراقية الحاكمة آنذاك، فأنه كان يستمد قوته من

الجماهير الملتفة حوله والطائعة له. وهذا دليل على مدى تعلق الشعب العراقي بالفقيه وايمانه بولايته عليه.

وحينما ارسل الشيخ كاشف الغطاء رسالة تهديد الى نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي في ذلك الوقت يقول له فيها: «الكفائي يطلق، والكتاب يحرق، والآ...» ترى رئيس الوزراء يسارع لتنفيذ ما جاء في برقية الشيخ رحمة الله عليه. وهذا انما يعود لمعرفته بطبيعة الشعب الذي يعطي كل ولائه لمرجعة الفقيه.

ان الارهاب البعثي خلال خمس عشرة سنة لا يمكنه ان يفصل الشعب العراقي عن تاريخه وعن جذوره بقوة الحديد والنار، ولا بدعم كل قوى الشر في العالم التي تحاول فرض ثقافة جاهلية عليه تستمد وحيها من الشيطان لتكون عوضا عما يحمله هذا الشعب من مباديء اسلامية سمحاء.

الشعب الجزائري الذي ظل تحت تحكم المستعمر الفرنسي عشرات السنين حتى انساه الاستعمار لغته وهي اهم وابرز مظاهر الحضارة. وجدناه ينهض لينفض عنه غبار الايام التي حجزته عن جذوره فيطرد المستعمر من بلاده ويستعيد استقلاله ولغته. وكما يقول احد الفلاسفة: ان هذا دليل على ابدية روح وحرية الانسان التي لا تستطيع اي من القوى الخارجية الضاغطة ان تهيمن عليها. ان ارهاب الانظمة المتسلطة على الشعوب واساليبها في مسخهم، لا تغير سوى الجوانب الفوقية والظاهرة، وحالما يذهب الضغط، تبدأ تلك الطبيعة الاصيلة بالبروز مرة اخرى.

□ في اطار نظرتك الى الساحة العراقية، بماذا تتميّز منظمة العمل الاسلامي في العراق عن باقي فصائل الحركة الاسلامية العراقية؟

■ لا استطيع القول ان المنظمة تتميز بشيء لولا انها بادرت قبل غيرها من الفصائل الى اختيار اسلوب العمل المسلح. ففي عام ١٩٧٥ م وبعد ان اقدم النظام على اعدام العلماء بتهمة الانتماء للحركة الاسلامية تنفيذا لما قرره ما يسمى بمجلس قيادة الثورة القاضي بأعدام كل من ينتمي الى الاحزاب السياسية غير الداخلة في الجبهة الوطنية اذا لم يكشف عن انتمائه في مدة اقصاها ثلاثة اشهر، وبذلك لم يبق النظام للجماهير خيارا غير خوض الكفاح المسلح. النظام الذي يعدم الانسان لمجرد انتمائه لحركة ولا يعرف لغة غير الدم، لا يمكن ان يجابه الا بالسلاح. لذلك بادرت منظمة العمل الاسلامي منذ ذلك الحين الى اتخاذ هذا الطريق الذي اصبح احد مميزاتها.

★ ★ ★

طـريقُ النصْر

▫ من سيصنع الانتصار في الصراع ضد الطغمة الحاكمة في العراق؟

■ الذي يصنع الانتصار هو الذي يرتفع الى مستوى التحدي، أن يكون بحجم المتطلبات الحقيقية للمواجهة سياسياً وعقائدياً. ومتطلبات النصر الحقيقي هي:

أولاً: نقل جوهر التجربة الاسلامية في ايران الى داخل العراق، لئلا يشتبه بنقل مظهر التجربة وشكلها، مع العلم ان الجوهر يأتي عبر الجهاد والصبر والاستقامة وسلامة الاستراتيجية والاستمرار في العمل لاسقاط صدام.

ثانياً: التركيز على الاستراتيجية التي تقصم ظهر النظام العراقي، فالتظاهرات المليونية قد تكون غير ممكنة لوحشية النظام العراقي، كما ان كتابة الشعارات ليست كافية لاسقاط النظام، وبدلاً من ذلك لا بد من نمو حالة ثورية تتحدى ارهاب نظام صدام، متسلحة بالقوة، ثم تنمو حتى تصل الى مرحلة تستطيع فيها كسر حاجز الخوف عند الجماهير، وبالتالي تغير الجماهير المعادلة حسب الظروف التي تفرض نفسها في ساعة الانتصار.

ثالثاً: دعم بناء قوة ذاتية في داخل العراق حتى تنمو وتتصاعد لتتحول الى ثورة جماهيرية عارمة، وهذه المسألة لا تلغي سائر الاستراتيجيات القائمة في الساحة، فالعمل لتحريك العراقيين خارج العراق لا بد أن يستمر، وفضح نظام

صدام والوقوف مقابل الاعلام المضلل الذي يبيض وجهه وغير ذلك، لاننا لا بد أن نعمل في سائر الاتجاهات. ولكن ينبغي التركيز على الاستراتيجية التي تعجل اسقاط النظام، وهذه الاستراتيجية تنبع من واقع الشعب العراقي، أي تغيير المعادلة من داخل العراق، وهذا التغيير قد يتم بصور شتى، الا انني أتصور انه يبدأ بتفجير الكفاح المسلح حيثما استطعنا داخل العراق حتى يتجاوز الشعب حاجز الخوف، ومن ثم تسقط هيبة النظام، فينطلق الشعب تاركاً وراءه أثر الارهاب في النفوس.

رابعاً: الامل بالنصر، ان الدرس العظيم الذي نستفيده من انتصار الثورة الاسلامية في ايران هو الامل بالله عز وجل، ومعرفة مدى رحمة الله وسعة فضله لعباده حيث ينزل نصره على عباده في اللحظات الحاسمة، فالجميع - قبل انتصار الثورة - كان يعتبر انتصار الثورة في ايران حلماً.

والامام الخميني عندما أعلن عن بدء ثورته منطلقاً من قم المقدسة في ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣ م)، ذكر في خطابه الشهير ان عمره ثلاث وستون سنة - في سن الامام علي حين استشهد -، وسيضحي بنفسه فداء للمسيرة الخالدة التي أمرت بها رسالات السماء، كما ركز في حديثه على الاستقامة في العمل.

ينبغي أن ندرس هذه الثورة من كل أبعادها، ودراسة هذه الثورة هي من صميم عمل الحركة الاسلامية والمفكرين الاسلاميين، فليدرسوها بعمق، وينقلوها للاجيال القادمة.

□ لاحظت أن الجاليات العراقية في خارج الوطن قليلة الفعالية بالقياس الى متطلبات المواجهة التي تفرضها المأساة ويحددها حجم وأبعاد هذه المأساة، إن أكثرهم معلقون نفسياً بما يحدث في الجبهة،

فتفاؤلهم يزداد مع انتصارات الجمهورية الاسلامية ويتراجع مع توقف العمليات العسكرية. الا تجد في هذه الحالة نوعاً من التواكل؟

■ يبدو لي أن هذه الحالة راجعة الى سببين، أولها صحيح، وهو أن الجهد العسكري والسياسي الذي تبذله ايران عظيم الأهمية في تقرير مستقبل الصراع مع النظام العراقي، أما السبب الآخر، وهو خطأ، فهو ضعف الشعور بالاستقلال وهو نابع من الاستسلام للواقع الفاسد، وعدم الرغبة في التضحية وتفجير الطاقات الذاتية وزجها في المعركة؛ إن أهم ما ينبغي للشعب العراقي الاهتمام به اليوم هو استقلال الحركة الاسلامية استقلالاً روحياً ومادياً وعملياً، لأن أبناء العراق إذا اعتمدوا على الثورة الاسلامية في ايران وانتصاراتها المقبلة في الجبهة لتنقذ الشعب العراقي من براثن صدام، اذا حدث ذلك فلن يقع شيء، لأن القوات الاسلامية في ايران عليها مسؤوليتها وواجباتها، وهي تقوم بها على أكمل وجه.. ولكن أنت أيها العراقي عليك واجباتك ومسؤولياتك، وينتظرك دور هام للمساهمة في الاطاحة بهذا الطاغوت، لأن أولئك الذين قالوا لنبيهم: **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون﴾**(١٦) سفّه الله دعواهم.

لذلك فنحن مدعوون للمشاركة الفعلية في عملية اسقاط الطاغوت وترك الاحلام والتمنيات، وعلى أبناء الحركة الاسلامية في العراق أن يجلسوا ويفكروا في وضع العراق ومستقبله وتقييم الحاضر، فلنسر في درب العمل حتى لو لم يؤيدنا الآخرون، وحتى لو كانت امكانياتنا متواضعة وبسيطة، فالله لم يربط مصيرك أيها العراقي بمصير ذلك الانسان الذي تنتظر منه أن يقوم بكل الدور.

يقال ان شخصاً كان له صيت الغنى، فجاء اليه فقير وطلب منه رزقاً، فقال له: ائتني في اليوم الثاني، فلما جاء في اليوم الثاني أعطاه مالاً، فقال الفقير:

لماذا لم تعطني بالامس وأخرتني الى هذا اليوم؟ فقال الرجل: لأني لم أكن أملك شيئاً، فدعوت الله عز وجل أن يرزقني وأعطيتك اياه، فتعجب الفقير من ذلك.. وقال لنفسه: لماذا لم أفعل ذلك..

وكذلك الشعب العراقي ـ اليوم ـ فهو يرى الانتصار العظيم للثورة الاسلامية في ايران بقيادتها الحكيمة الرشيدة، ولكنه لا يتساءل: أي القوى كانت تدعم هذه الثورة في البدء؟

الامام الخميني (حفظه الله) حين بدأ حركته المباركة من قبل، لم يعتمد على أية قوى مادية، وانما اعتمد على الله عز وجل وتوكل عليه، ومن ثم على سواعد المؤمنين المخلصين!

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [١٧].

فالله قادر على نصرك، ولا تعجزه الوسائل، ولكن استمطر هذا النصر بالعمل والجد والتحرك.

ان اعتقاد الانسان وشعوره بأن غيره من البشر هو الذي سينقذه ويعطيه، هذا الاعتقاد والشعور سيمنعانه من تفجير طاقاته.. ويشلان المتبقي من القوة التي بحوزته.

وأمامنا نموذج جيد للتحرك والعمل وهو المتعلق باعتقال الطالبين العراقيين في باريس فبعد أن عملت المخابرات العراقية والفرنسية عملا بشعاً حاولت فيه استعراض عضلاتها واظهار جبروتها، وسلمت هذين المجاهدين لطاغية العراق، تحرك المجاهدون من جميع أنحاء العالم الاسلامي وخاصة في ايران ولبنان وبقية العواصم الاوروبية لانقاذهما، واعتمدوا على الله عز وجل وعلى طاقاتهم، وكادوا أن يسقطوا حكومة ميتران، حتى ان بعض وزرائه قدموا استقالاتهم، وبرزت مشكلة داخلية في فرنسا فاضطروا للضغط على عميلهم في بغداد صدام الذي استجاب وأعلن ما سماه بقرار العفو عن هذين المجاهدين.

وحين تجد الحركة الاسلامية سواء في لبنان أو العراق ان جهودها وحركتها وعملها تؤثر في اسقاط حكومة ميتران، فانها تستطيع اسقاط حكومة صدام

بحول الله وقوته.

ان ظاهرة التوكل على الغير ظاهرة غير ايمانية، ان الله عز وجل اذا غضب على شخص - كما نعرف - فانه سيكله الى غيره، ونستجير بالله من ذلك، مهما كان ذلك الغير.

ومن هنا فعلى الحركة الاسلامية في العراق أن تتوكل على الله أولاً، ومن ثم تتعاون مع الثورة الاسلامية في ايران.. ومع الثورة الاسلامية في كل مكان، وتشق طريقها بالاعتماد على ذاتها وامكاناتها، حتى لو كانت متواضعة.

في الحديث الشريف: «من اعتز بغير الله ذل».

كفانا هذا الانتظار، فمثل هذا الانتظار لا يزيد الشعب العراقي الا مأساة ودماراً.

على الحركة الاسلامية أن تبحث عن السبل الكفيلة بتفجير طاقات أبنائها وامكاناتها الذاتية، وتسعى الى توحيد صفوفها وتركيز العمل داخل أرضها المغتصبة، حتى تقتلع صدام الذي دخل الى هذه الارض وسرق ما فيها وامتهن كرامة من فيها.

على الحركة الاسلامية أن تختار أصعب الطرق، لأنها ان انشغلت في البحث عن أسهلها، فانها ستضيع الطريق الصحيح، فهي كمثل رجل في صحراء يجد طريقاً معبداً، فيسلكه وهو لا يدري الى أين يصير ؟!

أما الشعب العراقي في الداخل فانه مدعو الى استعادة ثقته بنفسه وتوكله على ربه وتفاعله مع قيمه وقياداته الرسالية وحركاته الاسلامية ورسالته الخالدة، ليبدأ مسيرة التحرير.

الثورة الاسلامية في ايران هي أم الثورات المنتصرة، حيث انها انتصرت وأعطت الامة الاسلامية الامل.. وأضاءت لهم طريق الثورة والجهاد، ولكن هذا لا يعني انعدام الثقة بالذات، ولا يعني الانبهار الى حد التواكل، بل انه يرسخ فكرة ان الله عز وجل هو الذي أعطى هذه الثورة المباركة النصر، ولذا فان الله عز وجل قادر على أن يعطي النصر للثورة الاسلامية في العراق وفي

لبنان ولأية ثورة في العالم.

□ **الا تجد أن من الضروري تركيز العمل على المهجرين والمهاجر العراقيين، والاسرى العراقيين في ايران لاعدادهم لساعة الصفر في المعركة مع النظام، اليسوا في رأيك القوة الرئيسيه للحركة الاسلامية؟**

■ باعتقادي لن يكون للمهجرين والمهاجرين اي دور في ساعة الصفر، وهذا راجع الى الوضع الذي تعيشه الجماهير العراقية في الخارج والتي ليس بامكانها تحديد ساعة الصفر وبالتالي السعي للمشاركة في احداثها، ليس المهجرين والمهاجرين فقط، بل أنه ليس باستطاعة احد على الأطلاق ان يحدد ساعة الصفر، كما حصل في ايران. ان الذي جعل يوم ٢٢ بهمن يوم الانتصار انما هو جريان الاحداث بشكل عفوي وتجمع العوامل الاخرى للنصر داخل حدود البلد، فكيف لمن يعيش خارج حدوده كالمهاجرين والمهجرين ان يحددوا او يشاركوا في هذا اليوم وهم خارج دائرة التفاعل الاساسية.

نعم أمام المهجرين والمهاجرين مسؤولية العمل في الخارج بما يتيح لهم الاسترخاء الامني من فرص لتعرية النظام وكشف حقيقته أمام شعوب العالم، وهذه الفرصة غير متاحة لأخوتنا داخل العراق.

ويمكن أن يكون للمهجرين والمهاجرين دور بعد أن يصلوا الى داخل العراق. هذا أولاً.

وثانياً: لا يتعدى مجموع المهاجرين والمهجرين والأسرى في الجمهورية الاسلامية ربع مليون شخص ومن بين هذا العدد لا نجد إلاّ بضعة آلاف يحملون روحية الثورة، خاصة من بين الذين استقروا في ايران وتوفرت لهم سبل العيش، ونسوا العراق ولم يعودوا يفكرون في الرجوع اليه.

إن بضعة آلاف الذي يشكّلون حصيلة المعادلة السابقة يمكن أن يكون لهم دور في الساعة الثانية اذا ربّوا انفسهم، وعمقوا اتصالاتهم لاننا نحتاج في الساعة الثانية الى مجموعة منسجمة تعرف بعضها بعضا، للقيام بادوار ثانوية هامة.

* * *

وَاقِعُ العِـراق

□ في حديثكم هذا الاسبوع أشرتم الى ذكرى انقلاب ١٧ تموز الذي يصادف هذه الايام، قلتم أن المحنة لم تبدأ في ١٧ تموز ١٩٦٨ وإنما انتقلت بالشعب العراقي من مواجهة المحن بالألم الى مواجهتها باليأس، وأنا الاحظ ان فرزاً قد بدأ في الساحة العراقية بين يائسين قانطين وملتزمين ثائرين في ذروة الحماس والاندفاع..

■ أنا أيضاً الاحظ هذا الفرز، وأرجو أن لا نجد يائساً في صفوف شعبنا في القريب العاجل. إن ١٧ تموز، يوم انقلاب البعثيين ووصولهم الى السلطة في بلادنا يوم مشؤوم حقاً، ولا أدري كيف حدثت هذه المفارقة، فشهر تموز الذي يعتبر شهر الانتصارات لشعوب العالم، أصبح يوم النكسة في بلادنا.

اذا كان تموز يعتبر شهر فرح وسرور بالنسبة للفرنسيين، والرابع عشر من تموز يعتبر يوم الاستقلال والحرية لانه يوم التحرر حيث سقوط باستيل، واذا كان بالنسبة للامريكيين عيداً وطنياً، وبالنسبة للبلاد الاخرى شهر الانتصارات، فان هذا الشهر لشعبنا المسلم في العراق يعتبر شهر الشؤم والآلام.

ففيه فقدنا الاستقلال والحرية والكرامة، وفيه سيطر الارهاب وفقد الأمن، وحري بأبناء العراق ان يجللوا مدنهم وبيوتهم بالسواد ويلبسوه حداداً على فقدانهم للحرية والاستقلال في هذا الشهر، حيث أنهما اعز واغلى جوهرة في الوجود.

ان (١٧ تموز) لم يكن وليد يومه وانما هو النتيجة الحتمية للسنين التي ضيّع العراقيون فيها شيئاً من استقلالهم.

في هذه الليلة فقد الشعب العراقي الكثير! ولكن أهم شيء فقدوه هو الأمل في تغيير الوضع الفاسد الذي جر سلسلة متتابعة الحلقات من الفساد، لقد حدث هذا بعد ان فقدنا الاستقلال وحرية الاختيار. كان مخططاً لصدام ـ ومنذ البداية ـ من قبل الدوائر الاستعمارية ان يمسخ ايمان الشعب العراقي بالاستقلال وشعوره بالقـدرة على مقاومة الاستعمار. وقام النظام وبطريقة دموية وهمجية بتصفية كل من يطالب بحريته، ليس الشخص فقط وانما تصفية كل أفراد عائلته بمن فيهم الطفل الصغير والشيخ الكبير، وبهذه الطريقـة وهـذا الاسلـوب يعدم مجموعة من العلماء لأن واحداً من جهازهم يعارضه خارج العراق، ويسمح صدام لنفسـه بتدمير قرية بكاملها لان فيها رجلا مجاهداً يعاديه.

وبدأ الشعب العراقي يتململ، وجاء جيل جديد من ابنائه يتلوى تحت سياط الارهاب، وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين ربتهم الحركة الاسلامية، وأستوحوا أفكارهم من القرآن الكريم وعرفوا أن ليل العراق مهما طال فلا بد أن ينجلي، ويصبح افضل واكثر اشراقاً وذلك الصبح هو الثورة الاسلامية.

بدأ الثوريـون الاسلاميـون بـالتحـرك، ورأى صـدام ان هـؤلاء بـدأوا يتحركون ويخططون لاقتلاعه من ارضهم. فشرع جلاوزته بالتخطيط لضرب الشعب العراقي ضربة قاضية. فقتلوا ابناء العراق وأدخلوا النائحة في كل بيت عراقي، وسلبوا حرية الانسان العراقي حتى حرية التنفس، وسلبوه امواله وممتلكاته.

ماذا ينبغي ان نفعل ؟

ان اول من يجب محاربته هو (صدام) الذي في نفوسنا الا وهو اليأس ، واذا اجتزنا هذه الهوة السحيقة فسوف ننعم بالحرية التي استنقذها اباؤنا بالدم والتضحيات من المستعمرين ، ولا بد ان نحافظ عليها ، ونطالب بالمزيد . ان علينا ان لا ننسى الحكمة الاصيلة من الحياة ، والخطوط العريضة في حياتنا فوق هذه الارض وفي هذه الدنيا وان تكون لدينا بصيرة ورؤية قرآنية تجاه الاوضاع .

□ يبدو أن قيام واستمرار النظام الحالي في العراق هو أدق المراحل واكثرها مأساوية في تاريخ العراق الحديث، يعتبرها البعض ذروة الإمتحان للشعب العراقي، كيف ترونها في سياق المسيرة التاريخية لحركة هذا الشعب؟

■ الحق أنها امتحان ، امتحان عسير وشديد بقدر ما بعدنا وتخلينا عن قيم الحق وكبير وعميق ، إن مجيء هذه العصابة واستمرارها في السلطة ، هو إعادة انتاج لواقعنا السيء « كما تكونوا يولَّ عليكم »[١٨] ، **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[١٩] .

فالشعب العراقي كان يعيش وضعاً معيناً يحتاج معه الى هزة عنيفة عقاباً له على أفعاله ، أو اختباراً لارادته . فالمؤمنون الذين كانوا ينشدون إقامة حكومة اسلامية في العراق منذ سنة ١٩٢٠ ، والتي تجددت همتهم بعد عام ١٩٥٨ م ، كانت ظاهرة صدام وزمرته العملاء بالنسبة اليهم امتحاناً صعباً وبلاءاً عظيماً . أما سائر الناس الذين كانوا يعيشون في غفلة عما يدور حولهم ، كان ذلك بالنسبة اليهم عقاباً لذنوبهم لعلهم يرجعون .

والقرآن الحكيم عبر آياته الكريمة ، يركز على المنحى الثاني للاجابة ، لان

فلسفة الكون وحكمة الاحداث التي تجري فيه ، وكيفية مواجهة هذه الاحداث كلها تدور حول هذا المنحى ، أي منحى اتهام النفس وادانة الذات لاصلاحها .

فالقرآن هتاف دائم لايقاظ الانسان نحو حقيقة ان كل شيء منك واليك وأنت المسؤول شئت أم أبيت . فلا يكفي أن يقول أحدنا اننا كنا مذنبين ، وان صدام جريمة مركزة لسائر جرائمنا ، تركزت وأعيدت الينا ، وانما يجب أن نتساءل ما هو تقصيرنا ، هل في صلاتنا أم صيامنا أم حجنا . . أم أن هناك أخطاءاً ساهمت بصورة مباشرة وغير مباشرة في وجود هذا النظام واستمراره ؟ أظن ان انعدام الوحدة وانعدام الثقة بالذات هي جوهر التقصير .

ان علة بقاء النظام البعثي هو انعدام الوحدة . فشعب العراق في عام ١٩٢٠ كان يختلف عنه في عام ١٩٦٧ اختلافاً شاسعاً . في ذلك الوقت كانت القيادات الكردية والعربية ، السنية والشيعية في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء والسليمانية والموصل ، بالاضافة الى بغداد والحلة والسماوة والناصرية والبصرة ، وسائر المدن العراقية ، قد انتفضت انتفاضة واحدة وقاومت الاستعمار بفتوى المرحوم آية الله ميرزا محمد تقي الشيرازي (رضوان الله عليه وعلى سائر العلماء) . في تلك السنة لم يقل أحد من الاكراد هذا عالم من شيراز « أعجمي » جاء العراق ، ماذا يريد أن يعمل بنا . ولم يقل أهل الموصل أو أهل تكريت ، هذا رجل شيعي ، ونحن سنة مالنا وماله . والشباب لم يقولوا : هذا الرجل عالم دين رجعي ونحن تقدميون ووطنيون يجب أن نقود الساحة . والعشائر العراقية لم تدخل في نزعة الخلاف والتطرف العرقي انما توحدت وتعاونت ، وقام الجميع كالرجل الواحد ضد الاستعمار ، وكان هدفهم هو طرد المستعمر الكافر .

ان علماء النجف الاشرف أصدروا في ذلك الحين بيانات وفتاوى تدعو الى الدفاع عن الحكومة العثمانية أمام المستعمر الكافر ، مع ان الحكومة العثمانية كانت تركية وسنية .

في ذلك الوقت لم تكن هذه الخلافات السنية والشيعية ، والكردية والعربية .

وأنك ترى جمال الدين الاسد آبادي [٢٠] هذا العالم الشيعي الايراني الاصل الذي درس في الحوزة العلمية في قم وطهران واصفهان، يذهب الى أفغانستان ويدافع عن الشعب الافغاني، ثم يذهب الى الهند ويدافع عن الشعب الهندي ثم يذهب الى مصر ويدافع عن الشعب المصري، ثم يذهب الى السودان ويزرع بذور الاستقلال هناك. هذا العالم وغيره ما الذي دفعه للذهاب الى السودان؟ ان نعرات القومية لم تكن موجودة آنذاك، وحتى لو كانت موجودة، فانها ليست في الساحة الاجتماعية.

وحينما ثار عمر المختار [٢١] في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي، أصدر علماء الشيعة في النجف وقم فتاوى بتأييده، انطلاقاً من الآية الكريمة: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** [٢٢].

أما اليوم فترى ان الخلافات قائمة حتى في البيت الواحد. لذلك وجد الاستعمار فرصة للسيطرة علينا وللاتيان بحزب عميل ليحكمنا.

اما عدم الثقة بالذات والذي يظهر كتفريع عن عدم الثقة بالله سبحانه وتعالى. هذه الروح الشيطانية الخطيرة التي ما انفك المستعمرون واذيالهم يغذونها في أنفسنا، لكي يجعلونا نتبعهم ونخضع لهم.

ان انعدام الثقة بالذات هو الذي جعل الكثير من الحركات الاسلامية والشخصيات القيادية يشكون في قدرتهم على صنع الاستقلال. فبعض الشخصيات الدينية في العراق كانت ترى بأن أفضل طريقة لمقاومة النظام العراقي هو الانتماء الى شاه ايران! كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفي مرة عقد اجتماع في بعض قصور الشاه في شمال ايران، وعد الشاه فيه هؤلاء الرجال بالمعونة، وأعدت الخطة لانقلاب عسكري في العراق. إلا انّه فشل بسبب افشاء سره.. لقد كان هؤلاء يتوهمون ان الشاه يريد اقامة حكم اسلامي في العراق!! ومع الاسف هذه الروحية لا تزال موجودة، لا يزال هناك بعض من يسمي نفسه معارضة، يزعمون بأن الغرب أو الشرق أو هذا الحاكم أو ذاك هم الذين سوف يغيرون النظام في العراق!

لقد كانت الحكومات في عصر التخلف العلمي والتكنولوجي هي الاقوى بسبب قدرتها على تجميع قوى موالية، ثم القيام بدور اخضاع الشعوب واستعبادها. أما اليوم في عصر العلم فان الامر قد تغير تماماً. فالجماهير أصبحت تعرف الاسرار العلمية والعسكرية، وتداخل العالم وتفاعله أصبح أقوى من المستكبرين. لذلك لو انتبهت الشعوب اليوم ووعت هذه الحقيقة وعياً كاملاً، لاستطاعت أن تتحدى كل السلطات الطاغوتية في العالم. لأن قوة هذه السلطات انما هي في تكنولوجيتها والتكنولوجيا لم تعد حكراً عليها.

ان الشعوب لو عرفت نفسها وقدراتها وامكاناتها، لاستطاعت من جهة أن تأخذ بتجارب العلم وتحوله لخدمة نفسها، وتتحدى بذلك أساليب الاستكبار، ومن جهة أخرى، تقاوم مخططاتهم الجهنمية.

ان مشكلتنا في العراق اننا ضيعنا أنفسنا بعدما زرع المستعمرون اللاثقة بأنفسنا وبطاقاتنا وقدراتنا.. علمونا ان رجال الدين لا حظ لهم في الحكم، فمكانهم هو زوايا المساجد وشغلهم القاء الدروس الفقهية وأداء الصلاة على الميت.

ولو عرفنا اننا بالتوكل على الله سبحانه نستطيع أن نهزم الشرق والغرب، لكنا قد عرفنا هؤلاء العملاء الذين يسيطرون علينا كل يوم بثوب جديد وبوجه جديد.

* * *

التقصير

□ **مظاهر التقصير هذه أدت الى قيام واستمرار النظام، ويبدو أن بعضها لا زال حاكماً في الوسط العراقي، وأخشى أن تستمر حتى فترة طويلة، إن مستقبل العراق سيكون في ظل هذه الحالة محاطاً بالغموض والأخطار، لنفترض أن الحرب مقبلة على النهاية فما هي عناصر التقصير الرئيسية التي يجب تفاديها كي لا يضيع المستقبل بعدما أضعنا الماضي والحاضر؟**

■ إني قلق فعلاً من المستقبل، إن التحرك في واقعنا وتفكيرنا وعملنا ليس بالمستوى الكافي لمواجهة أخطار المستقبل.

ان المستكبرين سوف يفرضون علينا ارادتهم بصورة أو بأخرى. فقد يبيعوننا في المزاد العلني أو يجبرون الشعب العراقي الذي ينزف دماً ودمعاً وألماً بعد الحرب على بيع بتروله بأثمان رخيصة جداً أو أن يعقد اتفاقات مذلة ككامب ديفيد، على أن يصبح العراق بشعبه وجيشه وثرواته قمراً صغيراً يدور في فلك اسرائيل أو أية دولة عميلة أخرى.

أقول ذلك لاني أرى الاحداث تسير هكذا. كما كنت أرى بوضوح هذه

الحرب قبل أن يشعل النظام العراقي شرارتها الاولى ويومها وبعد أن صعّد النظام البعثي حملته ضد المعارضة، قلت في محاضرة ألقيتها، ان النظام يعد نفسه ليصبح أداة بيد الاستعمار ضد شعب آخر، ولم أكن أعرف يومها أي شعب، ولم أكن أظن ان الحماقة تبلغ بهذا النظام حداً يقدم معه على حرب ضد الثورة الاسلامية، ولكن كنت أرى بوضوح ان النظام يسير بأتجاه حرب خارجية ليست من مصلحة شعبنا ولا حتى من مصلحته.

إذن بعد الحرب ستصبح العوامل التي بلغت بشعبنا الى وضع يسمح للنظام الفاسد بزجه في الحرب، أكثر خطراً وأعمق أثراً، والآثار المترتبة عليها ستصبح كارثة مضاعفة ومركزة، لانها تحمل معها آثار الحرب وآثاراً أخرى جديدة.

وهنا يأتي السؤال عن العوامل الذاتية والموضوعية التي أدت بشعبنا الى هذه الحالة؟

أولاً: عامل الانتظار الساذج:

الانتظار بحد ذاته عامل مهم لاي تحرّك، ذلك انه تعبير آخر عن الامل بالنصر والخلاص، وعدم القنوط من رحمة الله سبحانه، ولكن أن يتحول الانتظار الى عامل للجمود يجعل الفرد يتمنى على الله الامنيات دون أن يتحمل أدنى مسؤولية. ينتظر كرم الله، ويتشبث بالقول: (الله كريم) دون أن يعمل ما يوجب كرم الله عليه فلن يصل الى مبتغاه. فكرم الله لمن يعمل ولمن يكدح، أما بالنسبة للانسان الكسول فانه بدل الكرم ينزل عليه النقمة.

ان مراجعة بسيطة لواقع الشعب العراقي اليوم، ترسم أمامنا عشرات الامثلة التي تدلل على صحة ما نقول: فمن صور هذا الانتظار، انتظار دخول القوات الايرانية العراق واسقاط صدام وانقاذ الشعب العراقي من شره وظلمه. أو انتظار حلول أجل صدام، وتسمع كل يوم شائعة جديدة، ان صدام سوف يموت بعد أربعين يوماً مثلاً لان فلاناً رأى في منامه ما يدلل على ذلك.

وكذلك الانتظار من الحركات الاسلامية العراقية المعارضة أو الانتظار من

أشخاص مجهولين أن يقطعوا رأس النظام. وعشرات الصور الاخرى.

ان الجيش الاسلامي حتى لو دخل العراق وأسقط صداماً وحطم حزبه، فأنه في الواقع لا يحدث شيئاً، ما دامت الارضية التي نبتت فيها شجرة البعث الخبيثة هي ذات الارضية، والعوامل التي أدت الى صعود شخص كصدام هي ذات العوامل باقية مع تغير المظاهر، فربما يصعد صدام آخر يأتي بالوعود الجميلة والكلام العسلي، والمؤسف ان شعبنا في العراق سريع التأثر بالاعلام لطيب نفسه فيصدقه ويمشي وراءه، ويسلمه نفسه. وما أكثر أولئك الذين يتمنون حكم العراق.

كذلك الحركات المعارضة فانها ليست إلا صاعق التفجير لمادة الانفجار وهي جماهير الشعب، فهي ليست بديلاً عن الجماهير، وحتى لو كان بين الحركات من يتصور ذلك، فهو مخطىء في تصوره.

كذلك انتظار الشعب اشخاصاً معينين ياتون بالنصر. انتظار ساذج لانه حتى لو كان ذلك الشخص من أحسن الناس وأعلاهم مرتبة، فانه سوف لن يكون أفضل من الامام علي (ع) الذي كان أفضل نموذج بعد الرسول (ص)، ولكنه حين حكم وقاد، رأينا كم كان يشتكي من قومه الذين تعـودوا على خذلانه عليه السلام.

إذن فالقضية ليست قضية شخص، ولا حركة ولا ظرف طبيعي، انما هي قضية أمة. لذلك فان الانتظار بكل الوانه خطأ، وكل الوانه هي حقيقة واحدة، هي السلبية والتهرب من المسؤولية، هي النوم على حرير التبرير، وعلى فراش الالتواء والانحراف الفكري، وعدم مواجهة الحقيقة. لا بد أن تكون لدينا الارادة الكافية والشجاعة والثقة لكي نواجه الحاكم لا أن ننتظر أن يواجهه الغير.

ثانياً: التفرقة والاختلاف:

الاختلاف وانعدام الوحدة مظهر الانحراف النفسي والشذوذ في روح

الانسان. فحينما يكون الانسان منحرفاً من الناحية السلوكية، تـراه يفضل مصالحه الشخصية الخاصة على مصالح أمته، ويرى العالم من زاويته الخاصة رؤية مصبوغة بلون «الأنا» وبكل ضمير يعود الى ذاته أكثر مما يعود على مجتمعه. وحينئذ فأن بذرة التفرقة في المجتمع ستكون جاهزة للنمو.

وهنا فان للاختلاف ألف تبرير ما دام الانحراف في النفس. فحينما أريد أن أختلف معك فان باستطاعتي أن أسطر لك عشرات الاسباب التي أبرر بها ذلك الاختلاف. فمثلاً أبرر بأن رأيي في هذا الحديث يختلف عن رأيك، أو أن تقييمي لتلك الشخصية التاريخية يختلف عن تقييمك لها!، وهذه كلها أمور لا تمس قضية الصراع الاجتماعي الحضاري الذي نعيشه بشيء. كلها تبريرات كما هو حال الخلافات الدامية التي كانت في الجزيرة العربية قبل الاسلام.

انهم كانوا يختلفون بسبب أمور تافهة واختلافهم كان يسيل أنهاراً من الدماء كما في قصة الحرب التي دامت أربعين عاماً بسبب ناقة لقبيلة أكلت من عشب قبيلة أخرى.

اننا لا نملك الشجاعة الكافية لنصرح بحقيقة اختلافنا مع بعضنا. بـل ونغلف الخلاف ببعض التبريرات السخيفة. ولو خرجنا من اطار ذواتنا وتركنا كل التبريرات فاننا سنجمع على ان الاسم والقوم واللغة و... لـيس مادة للخلاف ولا سبباً للتفرقة، انما السبب يكمن في النفس وفي إتباع هوى النفس والنظر للامور وللآخرين من منظار الانا.

ثالثاً: الجمود الفكري وانعدام الابداع:

ان الجمود الفكري وانعدام الابداع أمام الابتكارات المستمرة والاساليب المتطورة التي يبتكرها العدو من أجل سحقنا واستغلال ثرواتنا، هو العامل الثالث لهذا الوضع.

فأمام الاساليب المتطورة والجديدة في الارهاب والاستغلال التي يبتكرها العدو، نرى الضعف الكبير وانعدام الابداع لدينا في اتخاذ الطرق التي نقاوم بها

أسلحتهم فضلاً عن ان ننتصر عليها. انك ترى مثلاً أجهزة الاعلام العراقية كيف تبتدع الاكاذيب بوحي من الغربيين ومن العقول الصليبية والصهيونية الحاكمة فيها. وكلما تكتشف كذبتهم يأتون بكذبة جديدة أكبر منها. فمثلاً يوم انهزموا من مدينة بستان الايرانية قالوا نحن لا زلنا في بستان وبستان أرضنا، وأتوا بمراسلين ليطلعوا العالم على انهم يتحدثون من على تراب بستان.

ولما دعت ايران المراسلين الاجانب ليطلعوا العالم على حقيقة الفتح الاسلامي لهذه المدينة البطلة، انكشف كذب وسائل الاعلام العراقية، ولكن قبل أن يفتضحوا، أتوا بكذبة جديدة وبدأوا ينعقون بها وهي كذبة قتل ايران للاسرى العراقيين في بستان وكأنه لم يكن حديثهم قبل يوم اننا لا زلنا في بستان وان بستان أرضنا، أما متى انهزمت القوات العراقية من المدينة وكيف، فكأنه لم يكن أصلاً.

كان النظام الايراني البائد يطور وباستمرار أساليبه القمعية ضد الجماهير، ولكن الجماهير قابلته بتطوير أساليب النضال ضده. فحينما فرضت أجهزة الطاغوت الايراني الاحكام العرفية ومنعت الخروج الى الشوارع، هذا بعد أن عملت مجزرة بالمتظاهرين الذين خرجوا في اليوم الاول من محرم عام ١٣٩٦ (١٩٧٨/١٢/٢) قبيل انتصار الثورة، ابتدعت الجماهير أسلوباً جديداً حيث اعتلت الاسطح وبدأت بالهتاف بـ «الله اكبر» وضجت العاصمة طهران وكل المدن الاخرى بهذا النداء، دون أن تستطيع أجهزة الطاغوت أن تعمل شيئاً.

ان على شبابنا الهاربين من جحيم الحرب والمتخفين في البيوت وفي الارياف، أن يبتكروا أساليب متطورة وجديدة للنضال.

ان أول ما سلبنا الارهاب هو شخصيتنا وايماننا بأنفسنا وبقدرتنا على العمل والثورة والحصول على الوضع الافضل، وعلينا أن نستعيد ذلك كله بالتوكل على الله سبحانه وتعالى والايمان بنصره. فوعد الله صادق وهو الذي يقول في كتابه الكريم: **﴿ان تنصروا الله ينصركم﴾** [٢٣] ويقول: **﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم﴾** [٢٤].

□ الآن وفي ظل الصورة القاتمة بل المأساوية لواقع العراق، ما هو المطلوب من الشعب العراقي بالتحديد للخروج من هذه الدائرة الجهنمية؟

■ من المؤسف أننا لم نقم بشيء مهم في الماضي، واذا لم نبادر الآن فسوف نقدم المزيد من الضحايا بدون فائدة. فلو إن هؤلاء الشباب الذين يستشهدون في غياهب السجون كانوا جنوداً ابطالاً يحملون السلاح، ويهجمون على المعسكرات، ويقتلون رجال المخابرات البعثية الصدامية، لكانوا قد أنقذوا العراق، وربما لم يقتل منهم إلّا القليل.

لو قاموا بما يقوم به أبطال الحركة الاسلامية في الهجوم على مقرات البعث ومراكزه، ولو كان منهم مئات فقط من أمثال سمير نور علي [٢٥]، وأبو فداء [٢٦]، وإبراهيم سلمان [٢٧].. لما بقيت لصدام أرجل يقف عليها، ولتخلص الشعب من جرائمه البشعة.

اذا لم يقم الجميع بواجب الجهاد فان ليالي سوداء تنتظرنا، والقتلى سيبلغون الملايين بدل الألوف.

على الجماهير أن تتحرك.. لأنها مسؤولة عن واقعها ومصيرها دون غيرها، ولأنها مبتلاة بنتائج تقصيرها في الماضي ولأن كل فرد منها سيكون عرضة للخطر الداهم في المستقبل، ولأنها لو لم تتحرك فان هذا الخطر يمكن أن يزداد ولا ينتهي.

فواجب الجهاد تكليف عيني على الكل، كلاً حسب موقعه واستطاعته، فالجندي في معسكره ووحدته، والبائع في محله، والموظف في دائرته..

إن الذي عقر ناقة صالح كان رجلاً واحداً، ولكن الله سبحانه سوى القرية كلها بالأرض، وأنزل عليهم العذاب، لأنهم اشتركوا جميعاً مع فاعل الجريمة عن طريق الرضا بها والسكوت عليها وعدم أنكارها، فالله سبحانه

وتعالى أشركهم جميعاً في العذاب حيث قال: ﴿**ونفس ما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها**﴾ (٢٨) فالجميع كذبوا وطغوا... إلّا واحداً تجلت فيه الجريمة وتجلّى فيه الطغيان: ﴿**كذبت ثمود بطغواها، إذ إنبعث أشقاها**﴾ وصدام إنبعث من إنقلاب فاسد... ﴿**فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها**﴾ رسول ذلك الوقت... أما اليوم، فالامام الخميني الذي يمثل دور الرسالة وقد أمر الشعب العراقي بالالتفاف حول السيد الصدر في بيان أصدره سابقاً.. ولكن ماذا حدث؟

﴿**فكذبوه فعقروها**﴾ ولم يعقر الناقة إلّا رجل واحد، ولم يقتل السيد الصدر إلّا رجل واحد.. ولكن ماذا فعل الله بتلك الأمة التي سكتت عن هذا القتل؟

﴿**فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، ولا يخاف عقباها**﴾ (٢٩) ستكون النتيجة وبكل بساطة تدمير المدينة كلها إذا سكتت عن الظلم.

هل هذا الدم، أو ذاك أزكى من دم السيد محمد باقر الصدر (٣٠)؟ هل يكونون أحياء ويموت سيدهم؟ وكيف والله سبحانه يقول: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ (٣١).

هذه قدرة الله، وهذه سنته في الحياة... وعلى الجميع أن يستشعروا المسؤولية ويتحسسوها، لأن الخطر سيشمل الجميع، ويجب على الشعب العراقي أن يتوب إلى الله من هذه الجريمة، لأنها ليست جريمة شخص واحد، ان سكوتهم يقوم مقام المشاركة فيها، وعلى جميعهم يقع الجزاء الذي يعقب الجريمة.

على كلّ فئة أن تختار طريقة النضال المناسبة. وباستطاعة عامة الشعب أن يقوموا بالنضال سلبياً، ويحاول كلّ واحد من جهته عرقلة مسيرة الحياة في العراق، وأن لا يدعوا النظام الحاكم يستمر بسهولة في التسلط على الناس، وأن يعقدوا الامور في وجهه بأيّ شكل من الأشكال.

• النظام يريد أن يتسلط ولكن على الشعب أن لا يدعه يتسلط، وعليه أن يعصي الأوامر. وأن يبحث عن رموز النظام، وعن الحلقات الأساسية في النظام، وعن العناصر المؤثرة مثل رجال الأمن والمخابرات فيكشفها ويفضح أمرها.

• على عامة الناس أن يتقشفوا.. أيأكلون ويشربون واخوانهم في السجون يذوقون الجوع والعطش؟ وهل هذه مواساة انسانية؟ كلا... بل يجب على الشعب أن يتقشف، ويجمع الأموال لمرحلة قد تطول في الثورة والنضال يجب الاقتصاد في الصرف وجمع الأموال الكافية والأرزاق لأيام طويلة.

• على الشعب ـ ومن الآن ـ أن يفكر في مرحلة طويلة من العمل والجهاد، وعليه ان يمون المجاهدين والهاربين من الجيش بالمال والغذاء، وان يتكفل بعوائل الشهداء. وهذه ليست واجبات دينية فقط، بل ضرورات حياتية أيضاً.. بمعنى أنها مثل الدم الذي يحتاجه الجريح ومثل البنسلين للمبتلى بتعفن في جسده، فاذا لم يفعلوا ذلك فسوف يموتون وينتهون كما انتهت شعوب كثيرة في التاريخ، ولا خير في شعب لا يحب الحياة، والله أيضاً لا يريد له الحياة.

• وأما الشباب فمسؤوليتهم أكبر بكثير، عليهم أن يقوموا بتوعية الجماهير وتنظيم أنفسهم، والتدرّب على السلاح، والقيام بالعمليات الجهادية والاستشهادية، انها ليست انتحاراً بل متاجرة مع الله بالشهادة.

لو طبق الشعب العراقي هذا البرنامج أو مثيلاً له، فانه سوف ينتصر على عدوه ليبقى حراً كريماً، وسيلقن صدام ومن ورائه الاستعمار الأميركي والبريطاني دروساً في الصراع، تضيف إلى تجربة الشعوب تجربة حية جديدة. اذا انتصرنا في العراق فسيبدأ عصر وحدة الأمة الاسلامية تحت راية الامامة الاسلامية... وسوف يبدأ عصر إنحسار السلطات الطاغوتية عن بلادنا كلها.

إنها رسالة حملها الله هذا الشعب، فلننظر كيف سيؤدي هذا الشعب رسالته كاملة غير منقوصة إن شاء الله.

★ ★ ★

الحَربُ العِراقيّة الايرانيّة

□ الحرب العراقية الايرانية هل هي جزء من الاستراتيجية الاميركية، وهل كانت جزءاً من الخيارات الصعبة التي اضطرت اميركا لركوبها لضرب الثورة الاسلامية في المنطقة ولتأمين بقاء مصالحها؟

■ استراتيجية الدول الاستكبارية بالنسبة للثورات، هي ذات الاستراتيجية القائمة الآن، وهي اشعال الحرب ضدها واشغالها بالمشاكل الداخلية والخارجية، وأتذكر كلاماً لكيسنجر قاله بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران يقول فيه «أمامنا فرصة حتى عام ١٩٨٠ لترويض الثورة الايرانية».

من هذا المنطلق اشعلت الحرب التي لم تكن القدر الشاذ في مطبخ السياسة الاميركية.. وانما هي جزء من منظومة عملها الاستراتيجي على المستوى الدولي حيث ان هذه الحرب تستخدم الآن كوسيلة لاقناع الدول الخليجية وغيرها بخطورة امتداد الثورة الاسلامية الى المنطقة، وبالتالي تحميلها الاعباء، والالتزامات المترتبة على نظام امن المصالح الامريكية في الشرق الاوسط وربطها بعجلة سياستها في المنطقة، والآن وحسب معلومات وردتنا من داخل الجزيرة والكويت هناك دلالة واضحة على هذا المنهج، فالقواعد العسكرية التي شيدت في هاتين الدولتين تزيد بكثير على قدرات وطاقات الجيشين السعودي والكويتي،

مما يدلل على أن هذه القواعد العسكرية أقيمت لاستقبال القوات الاجنبية وبالتحديد قوات التدخل الاميركية.

الحرب هذه كانت في هذا المضمار، اما الآن فقد استنفذت أغراضها.. الاميركيون الآن يريدون انهاء هذه الحرب بصورة أو بأخرى، ومرة ثانية اخطأوا في فهم قدرة الشعوب وقدرة الاسلام على استمرار عنصر الرفض والتحدي فيه، واكتشف الاميركيون انهم ليسوا قادة العالم والمهيمنين عليه، بل ان في النظام العالمي ثغرات، يمكن لقوة صغيرة أو دولة نامية ان تستغلها وتبني نفسها وتستمر في تحدي النظام العالمي.. فالسوق السوداء تستطيع ان تموّن دولة بوسائل حربية وقطع غيار، حتى لو كان النظام العالمي يفرض حظراً على تصدير الاسلحة الى هذه الدولة.

الخطة الامريكية التي كانت وراء اشعال هذه الحرب قائمة على مغامرة لا أكثر ولا أقل.. الآن تبين ان هذه المغامرة ولدت نتائج معكوسة.. واميركا سترتكب أخطاءً أخرى تدخل في نطاق هذه المغامرة.

السياسة الاميركية كانت قائمة على أساس عدم انتشار هذه الحرب خارج نطاق ايران والعراق.. أما الآن فقد تبدلت، وبالذات حينما سمحت لفرنسا بتزويد العراق بالسوبراتندار، هذا التطور كان يعني قراراً اميركياً بتوسيع نطاق الحرب الى منطقة الخليج، والامريكيون بالرغم من خوفهم من التدخل المباشر في منطقة الخليج، الا انهم لا يجدون طريقاً آخر لجبر ضعف القوة العسكرية العراقية أمام تنامي القوة العسكرية الايرانية إلّا بإدخال أطراف أخرى. والذي يؤيد هذا الاتجاه الأمريكي هو أعطاء الضوء الأخضر للعراق بضرب ناقلات النفط، وكذلك تزويد السعودية بأربعمائة صاروخ متطور من نوع «ستنجر» وتبديل أواكسات السعودية بأواكسات جديدة، وحث مجلس التعاون الخليجي لتصعيد المواجهة مع الجمهورية الاسلامية.. كل هذه الدلائل تشير الى مغامرة اميركية أخرى في المنطقة.

والسؤال المطروح.. ماذا لو كانت الحسابات الامريكية هذه المرة خاطئة

أيضاً، ماذا لو ان ايران التي استطاعت أن تقاوم الحصار الاميركي قبل سنوات في ازمة الرهائن، استطاعت أيضاً ان تنجح في خوض تجربة الحرب مع دول المنطقة؟ خصوصاً وان مقومات هذا النجاح قائمة بسبب الكثافة السكانية والروح المعنوية العالية والموقع الاستراتيجي الحساس لايران، ووجود قناعة طبيعية لدى شعوب المنطقة بان حكوماتهم تحارب ايران ليس من منطلق قومي أو اقليمي.. وانما من منطلق الخوف من الاسلام القادم.. وهذا يعني ان شعوب المنطقة تكره مواجهة الاسلام.. وبالتالي فان فرص النجاح للثورة الاسلامية في مواجهة المعادلة الجديد للاستراتيجية الاميركية ستكون كبيرة.

ماذا لو حصل هذا الأمر؟!

النتيجة ستكون سماح الاميركيين لحلفائهم الغربيين واليابان بالوقوع في أزمات إقتصادية متلاحقة لن يكون سهلاً عليهم التخلص منها.

□ وكيف ترون المخرج من هذه الحرب..؟.

■ كلنا يعرف ان النظام العراقي أشعل هذه الحرب لاسقاط نظام الجمهورية الاسلامية، وكل عمل عندما يفشل لا بد أن يأخذ جزاءه بمستوى الهدف الذي كان يراد منه، لدلك نرى ان الحل يكمن في عكس الهدف الذي أراده صدام، اي اسقاط النظام الحاكم في العراق. فكما ان العالم لم يستطع ان يتعايش مع هتلر الذي أراد ان يحرقه، كذلك لا يمكن للمنطقة ان تتعايش مع صدام الذي يريد حرقها. والخلاص لن يكون الا بترك صدام يحترق.. وبدون هذه النتيجة لن تشهد المنطقة الا مزيداً من التفجير.. هذا التفجير ستلحق اضراره بحكام المنطقة وحدهم لأنهم اصحاب المصلحة الاولى والاخيرة من الاستقرار وعدم التوتر، اما الشعوب والحركة الاسلامية فليس لديها ما تخسره، ان التوتر سوف يتيح لها فرصة اكبر للتنفس وسيضعف الحكومات، ان

نظام صدام اليوم اشبه ما يكون بمريض ابتلي بالسرطان في دمه ولا حياة له الا باستمرار تزريق الدم في عروقه، وكل الدلائل تشير الى ان حياته لن تطول، ان سقوطه مسألة وقت، خاصة مع التوجه الجديد الذي بدأ يظهر في اوساط الحركة الاسلامية العراقية الى الجدية في العمل ومقارعة النظام في عقر داره.

□ هناك من يقول ان الحرب العراقية ـ الايرانية اصبحت عبئاً على أيران كما هي على العراق، ويستدلون على ذلك بأن الطرفين قد دخلا مرحلة التدمير المتبادل لانجازات البلد الآخر الحضارية التي هي في الواقع مكتسبات للشعب، هذا الشعب الذي لم يكن صاحب قرار الحرب، ولذلك فأن الخروج منها الآن افضل من الانتصار فيها غداً للوقاية من احتمالات العودة الى نقطة الصفر اقتصادياً وحضارياً؟

■ الحرب تبقى حرباً، وأي هدم لأي شيء فهو هدم لمكتسبات الانسان على مختلف الاصعدة الحضارية، ولا شك ان الحرب اصبحت عبئاً على الجمهورية الاسلامية كما كانت منذ البدء.

في بداية الحرب دمر الجيش العراقي الفي قرية ايرانية بعضها سويت مع الارض، فقوات صدام لم تدخل بقعة الا ودمرت ما فيها وذبحت من عليها، والاراضي الشاسعة التي احتلها العراقيون لا تزال شاهدة على اجرام النظام الحاكم، فالوديان الخصبة التي طالما اعطت الغذاء لملايين البشر في ايران، زرعت ببقايا الاسلحة والشظايا المعدنية، ودمرت بصورة متعمدة الآبار وقنوات الري والتجهيزات الزراعية الأخرى، والمدن التي اكتنفت في بيوتها

آلاف العائلات لم يبق فيها نافخ نار، اما مدينة الحويزة العربية فلم يعد فيها حجر على حجر، لقد دمرت بالمدفعية والديناميت، ثم سويت مع الاراضي بالبلدوزرات، واذا زرت موقعها الآن فلن تجد سوى تلال من الاتربة والاحجار، ولن تصدق عيناك بان مدينة كبيرة كانت تقوم على هذه الارض قبل الاجتياح العراقي.

مدينة خرمشهر (المحمرة) التي احتلت في بداية الحرب دمرت هي الأخرى بدرجة لا تنفع فيها محاولات الاصلاح ولا بد من بنائها من جديد، لقد دمروا ميناءها الذي كان يومذاك واحداً من اعظم الموانىء في الخليج واكثرها نشاطاً، كما دمرت مصفاة عبادان، وهي واحدة من اضخم مصافي البترول في العالم.

في جانب آخر نجد أن المدن الحدودية التي دمرت كانت مسكونة بعدة ملايين من المواطنين شردوا جميعاً واصبح اكثرهم بلا مأوى. وهناك الآن ما يزيد على المليون ونصف من ابناء المدن الحدودية اضطروا للنزوح الى المدن الأخرى البعيدة عن الجبهة، ويشكل هؤلاء عبئاً ثقيلاً على الحكومة في اعاشتهم واسكانهم، هذه كلها اعباء، لكنها لم تأت الآن بل في بداية الحرب، واستمرار هذه الحرب يزيد من هذه الاعباء، لكن هل يوجب ذلك وقف الحرب دون الحصول على انتصارات رئيسية؟ بالطبع لا، والا لكان على ايران ان تقبل بالسلام يوم كانت القوات العراقية جاثمة على اراضيها ما دام الهدف هو الحيلولة دون وقوع المزيد من الخسائر، لكن هذا المنطق هو بالذات اصل المشكلة، وهو الباب الذي قد يعود منه الغزاة في المستقبل، فما داموا قادرين على ابتزاز المواقف السياسية التي يريدونها عبر التهديد بانزال الخسائر بالبلاد، فما الذي يمنعهم غداً من العودة للغزو وكيف يكون البلد ذا سيادة وهو في هذا الوضع.

لقد حارب اليهود الدول العربية اربعين سنة بهذا السلاح، ولأن اي عاصمة عربية لم تقبل ان تكون هانوي [٣٢] ثانية فقد اضطرت جميعها لقبول الوجود الصهيوني كأمر واقع وسكتت عن احتلال الاراضي العربية وان لم تعترف بذلك

رسمياً، لقد احتل اليهود نصف فلسطين في حرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨ م ثم احتلوا سيناء والجولان وبقية الاراضي الفلسطينية في ١٩٦٧ واحتلوا جانباً من الضفة الغربية لقناة السويس في ١٩٧٣ م، وبعد كل احتلال كان العرب ينسون الاراضي المحتلة في الحروب السابقة ويركزون على المطالبة باستعادة تلك التي احتلت للتوّ. ماذا كان يحدث لو كان العرب يتمتعون بذات العناد الذي يحمله الايرانيون، لو كانوا يطالبون بالاراضي المحتلة في ١٩٤٧، هل كان أحد يتجرأ الآن على البحث في القرار ٢٤٢ أو المؤتمر الدولي، وهل كان اليهود يطالبون بالتفاوض حول الضفة الغربية والجولان وسيناء؟

ان المشكلة التي يعاني منها ضعفاء العالم ودوله الصغيرة هو السياسات الابتزازية للأقوياء والدول الكبرى، لو استطاع الصغار تثبيت قاعدة (ان المعتدي لا يذوق حلاوة الانتصار ولا يخرج من الحرب الا وهو محطم) لكان العالم قد استراح الآن من نصف الحروب، ولكانت الدول الصغرى قد فرضت هيبتها ومارست - عن حق - سيادتها الوطنية.

وبالنسبة لايران فخيار السلام مرفوض قبل معاقبة المعتدي، حتى لا تطمع فيها دول أخرى مستقبلاً، ان العناد الايراني اليوم، هو اعلان لدول أخرى سبق لها - في مراحل تاريخية متقدمة - ان قامت بغزو الاراضي الايرانية أو هي تتمنى اليوم تركيع الجمهورية الاسلامية بواسطة الضغط العسكري، اعلان لها بأن الخروج من شرك الحرب ضد ايران ليس في مثل سهولة الدخول اليه، فقرار الخروج من الحرب بيد المجني عليه لا الجاني.

□ مع ذلك فأن أعباء الحرب تقع بصورة مركزة على شعبي البلدين، فهل للحكومات الحق في تحميل شعوبها، والشعوب الأخرى كل هذه الالام والخسائر؟.

□ انت تتحدث عن الحرب العراقية ـ الايرانية كما لو كانت منافسة في السوق على التجارة، وهذا خلاف الحقيقة، فالحرب لم تقم من أجل مكاسب اقتصادية او لخلاف على حدود أرضية، لقد انطلقت شرارة الحرب بعد ازمة الرهائن الامريكية في أيران، وهدف الحرب كان بصورة محددة ترويض الثورة وسلب استقلال البلاد والانتقام من اولئك الذين نبذوا عشرين الف خبير عسكري امريكي خارج الاراضي الايرانية، وزرعوا موجة من الأمل في نفوس المسلمين وصعدوا من مستوى الصحوة الاسلامية، والبلد مهما كان كبيراً ويملك من الامكانات الحضارية والانجازات فأن جماهيره لا تستفيد منه ما دام مسلوب الاستقلال وتابعاً الى الاجنبي وذرة من الاستقلال خير من جبل من الذهب، لقد قامت الحرب من اجل الاستقلال والسيادة، فهي موجهة ضد الشعب ووقفها الآن دون مقابل يعني الاقرار بخطة المعتدي لاذلال هذا الشعب وسلب استقلاله وسيادته، المسألة تتعلق بهدف الحرب وليس بقرار حكومة او حسابات خسائر اقتصادية وارباح.

□ كثير من رجال المعارضة العراقية يقولون بأن ايران لو اعطت نزراً يسيراً مما انفقته على الحرب للشعب العراقي وطليعته الثورية لكان عهد صدام قد انقضى منذ زمن! فهل ترون بأن القوة الشعبية والمسلحة للمعارضة العراقية كانت أجدر بمحاربة النظام العراقي من القوات المسلحة الايرانية؟

■ ثمة نقطتان لا بد من التأكيد عليهما لفهم الحد الفاصل بين جهد المعارضة العسكري وجهد ايران: **أولاهما**: أن الحرب قد خلطت اوراق

القضية بحيث لم يعد ممكنا منذ قيام الحرب وحتى الآن التفريق بين ما تقوم به ايران كدولة تخوض حرباً ضد العراق كدولة، وما تقوم به المعارضة كحركة تحرر تخوض حرباً ضد نظام متسلط على شعبها، ان العمل العسكري هو الذي يستحوذ على الجانب الاكبر من عملية الصراع ضد النظام، ولأن المقارنة بين امكانات الدولة الايرانية وامكانات المعارضة غير وارد، فأن الجهد الايراني هو الواضح في الصورة وليس جهد المعارضة، وقد أشرت في اجابة سابقة الى أن فعالية الآله الحربية في الجبهة هي التي تقرر مسار الحدث السياسي وليس العكس.

من ناحية العراق فقد اعتبر النظام كل نشاط للمعارضة، مشاركة لايران في جهدها الحربي، وحتى العمليات الفدائية التي قام بها رجال الحركة الاسلامية ضد زبانية السلطة وضباط المخابرات داخل العراق وضعها النظام في خانة ايران واعتبرها انعكاساً لما يدور في جبهة الحرب، ولا تزال اجهزة اعلام النظام العراقي وهيئاته الدبلوماسية تبرر اجتياح قواته للاراضي الايرانية بالبيانات التي صدرت عن فصائل المعارضة العراقية منادية باسقاط السلطة واذيعت من راديو الجمهورية الاسلامية، او نشرت في صحفها، من ناحية المعارضة فان تحالفها مع ايران يوفر لها فرصاً كبيرة للعمل ضد السلطة لا يمكن لاي تحالف بديل ان يعوضها، من ناحية ايران فانها بحاجة الى التحالف مع المعارضة العراقية لتأكيد موقفها القاضي بالفصل بين النظام العراقي كهدف للحرب والشعب العراقي كشعب مقهور يخوض حرباً لا ناقة له فيها ولا جمل، وهكذا تجد ان الاوراق متداخلة ومختلطة بشكل يستحيل معه الفصل بين ما تفعله المعارضة وما تفعله ايران.

النقطة الثانية: أن الجمهورية الاسلامية لم تدخل الحرب بارادتها حتى يكون لها الخيار بين ان تقاتل بقواتها الخاصة او تساعد الآخرين على القتال، لقد أفاق الايرانيون ذات صباح على جحافل الجيش العراقي وقد اجتاحت آلاف الكيلومترات ودخلت الى عمق يزيد عن ثلاثين كيلومتراً واحتلت مدنا باكملها

فلم يكن امامهم سوى الدفاع عن انفسهم، وعلى هذا الاساس لا يمكن المقارنة بين الامرين، اذ لم تكن هناك امكانية للاختيار، ولعل الدليل الواضح على ان الاهتمام الرسمي في ايران تركز على استعادة الاراضي الايرانية المحتلة وحسب، هو أن الحكومة لم تعط في بداية الحرب اهتماماً جدياً لحركة الشعب العراقي، رغم ان جهات كثيرة اقترحت على المسؤولين نقل الحرب الى داخل العراق بتسليح العشائر وامداد المعارضة بالمساعدات، على الرغم من ان عدم الاهتمام هذا كان خطأ استراتيجياً ارتكبه المسؤولون في الجمهورية الاسلامية، إلا أنه في المقابل تعبير واضح عن حقيقة المشاعر التي كانت تنطوي عليها نفوسهم، حقيقة انهم كانوا يريدون الدفاع عن سيادة بلادهم وتحرير اراضيهم المحتلة وحماية ثورتهم الفتية.

اضافة الى هذا فالموقف الرسمي الايراني الذي يطالب باسقاط صدام انما يقوم على مبررات تتعلق حصراً بالجمهورية الاسلامية وهو (معاقبة المعتدي) ان راس صدام الذي يريده الايرانيون انما هو ثمن الجرائم التي ارتكبها بحق الشعب الايراني وثورته الاسلامية وهو مطلب اعلن بعد نجاح الايرانيين في طرد الجيش العراقي من اراضيهم، اما المعارضة العراقية فطالبت باسقاط النظام الحاكم في بغداد منذ اوائل السبعينات ولا زالت تطالب به استناداً الى مبررات عراقية بحتة تتمحور حول فساد النظام واستبداده وجرائمه بحق الشعب العراقي منذ انقلاب تموز ١٩٦٨.

لحسن الحظ تبنى المسؤولون في الجمهورية الاسلامية فكرة دعم المعارضة العراقية بعد مضى عدة اشهر على بدء الحرب، وازداد الدعم في السنوات الخمس الاخيرة بصورة ملموسة، لكن هذا الدعم ليس قائماً على قاعدة أن تؤدي المعارضة الدور الذي ارادته ايران لنفسها وهو كما اسلفت (معاقبة المعتدي) كما أن المعارضة لم تترك مهماتها للايرانيين، فالشعب العراقي هو الذي سيطيح بالنظام وهو الذي سيختار النظام البديل لعراق المستقبل، مستفيداً من المساعدة الجوهرية التي تقدمها الجمهورية الاسلامية والدول الأخرى المحبة

للحرية والمتعاطفة مع هموم شعب العراق، هذه القناعة يتفق عليها الايرانيون والمعارضة العراقية كما يوافق عليها حلفاء الطرفين في المنطقة.

□ فأنتم لا ترون ـ اذن ـ أن دعم ايران للمعارضة العراقية يشكل بديلاً افضل من الحرب؟

■ من الضروري ان لا يكون بديلاً ـ في هذه المرحلة بالذات ـ قد يكون دور المعارضة موازياً للدور الايراني، وقد تستطيع القيام بادوار ذات طبيعة خاصة لا تقل اهمية عن الدور الايراني، وهذا ينطبق بالخصوص على العمليات النوعية داخل العراق، اما في المستقبل، وخاصة اذا توقفت الحرب دون اسقاط النظام فقد يكون الدعم الايراني للمعارضة بديلاً طبيعياً، بل لعله بديل قسري.

□ على افتراض تحقق هذا الاحتمال، هل تستطيع المعارضة العراقية القيام بذلك الدور اعتماداً على مساعدة ايران؟

■ أظن ذلك ممكناً، فالمعارضة العراقية ليست محدودة بالاعضاء العاملين في فصائل المعارضة، فالاكثرية الساحقة من الشعب، خاصة في الداخل تذوق يومياً الثمار المرة لهذا النظام الخبيث، وهي الاكثر تضرراً من استمرار تسلطه، ان تجارب التاريخ تثبت ان القليل من الانظمة سقط بفعل هجوم عسكري خارجي بينما سقط الكثير تحت ضربات التحرك الشعبي الداخلي، أريد التأكيد هنا على مسألة في غاية الاهمية، وهي ان المعارضة تحتاج الى تجاوز عقبتين حتى تصل الى مستوى المجابهة المتكافئة، كمياً أو نوعياً مع النظام:

العقبة الاولى: هي ضعف التفاعل الايجابي بين فصائل المعارضة (ككيانات سياسية) وبين التيار الواسع من الجماهير التي تتعاطف معها وتعلق عليها الآمال، فعلى الرغم من مظاهر الولاء الجماهيري الواضح للمعارضة الا أن فصائلها لم تستطع حتى الآن اشراك الجماهير في العملية الثورية، قد يكون السبب هو شدة القمع، وقد يكون ضعف وسائل الاتصال مع الشعب وقد يكون عجز البرامج التنظيمية التي تضعها الفصائل عن احتواء الاساليب المثلى للتعامل مع عامة الشعب، خاصة في ظروف كالتي يعيشها العراقيون داخل الوطن، وانا اميل الى اعتبار ان هذه الاسباب جميعها واردة بالاضافة الى سبب آخر جوهري وهو محدودية الجهد الذي تقوم به المعارضة في سبيل تكريس ارتهان تنظيمها لجماهير الداخل سيما في الناحية المالية والبشرية، لذلك أؤكد على ضرورة التخفيف من الجهد الحركي في المشاريع المتعلقة بخارج الوطن والتركيز على الداخل، وهو ما سيوجه التنظيم بصورة طبيعية نحو التركيز على شعب الداخل باعتباره مصدر القوة الحقيقية لاي عمل ثوري.

أما **العقبة الثانية:** فهي المعادلة السياسية التي تنتظم في أطارها عملية الصراع ضد السلطة حالياً، وهي معادلة لا تسمح للمعارضة بدور يوازي دور العناصر الأخرى في المعادلة (الحرب، نظام التحالفات المرحلية، الجهد الدولي المتعلق بالحرب... الخ) وبطبيعة الحال فالذي لا يكون دوره موازياً لادوار الآخرين لا يستطيع ان يكون بديلاً عنهم، ولا بد للوصول الى الظرف المؤاتي لتحقيق تلك الفرضية (استبدال الحرب بجهد المعارضة) من تغيير أساسي في طبيعة الادوار التي يقوم بها كل عنصر من عناصر المعادلة ونظام العلاقات القائمة بين هذه العناصر.

□ الطبقة الحاكمة في العراق متكاتفة حول صدام حسين، الدول الصغرى والكبرى تدعمه بشتى الامكانات، وصدام اتخذ قراراً بمواصلة الحرب حتى آخر عراقي، ومسيرة الحرب تدل على انها ستطول سنين عديدة، فهل قرار اسقاط النظام قرار واقعي وممكن في مثل هذه الظروف؟

■ نحن مأمورون شرعاً بمقاومة الظالم والعمل على اسقاط نظام الطاغوت وأقامة الحكم الذي ينسجم ومتطلبات الشرع المقدس، كما يلبي حاجات الشعب المقهور.

ان ما يهمنا بالدرجة الاولى هو انجاز ما عهد به الله الينا وهو اقامة حكم الشريعة، اما ان ننجح او لا ننجح فتلك مرحلة أخرى لاحقة للقرار، وفي هذه المرحلة يجب علينا ان نعد العدة لانجاز القرار وهذا يعني ان الحسابات لن تؤدي الى التنازل عن القرار في اي حال من الاحوال، هذه ناحية، الناحية الأخرى تتعلق بامكانية المقاومة لدى صدام ونظامه، انا لا أؤيد المبالغة في قوة هذا النظام، فالطبقة الحاكمة ليست متكاتفة حول صدام، والشاطر منهم نفذ بجلده وفر الى خارج البلاد، الطبقة التي حول صدام الآن صنعها الطاغية بنفسه، ولذلك فهي تستمد قوتها منه وليس العكس، النظام العراقي اصبح اليوم أشبه بهرم يقف على رأسه وهي نقطة ضعف في النظام، وان كانت تدل على قوة رأسه، لكن قوة الرأس ليست كافية للمحافظة على نظام يواجه تحديات كالتي يواجهها النظام العراقي، اما الدعم الذي يحصل عليه من دول العالم فهو المشكلة الحقيقية، وبهذا الدعم استطاع النظام ان يمعن في أرهابه وبطشه، لكن هذا الدعم ليس رادعاً حاسماً، فقد تتغير العلاقة القائمة بين النظام والدول الأخرى تحت تأثير تطورات معينة في الجبهة، او في المنطقة العربية، كما ان تصاعد المعارضة في الداخل من العوامل المهمة التي تساعد على تجاوز هذه المشكلة، ان كثيراً من حكومات العالم حظيت بدعم دولي واسع

لكنها سقطت تحت ضربات الحركة الشعبية المتنامية ولا يغيب عن بالنا مثال ايران ولا رصاصات الغيب التي ارسلت السادات الى جهنم، ومثل ذلك ما حدث في السودان بالأمس القريب.

★ ★ ★

الباب الثاني
ثقافة الحركة الاسلامية

مع المعتقدات ولكي يبقى الوحي على الدوام محركا للهمم ومثيراً لدفائن العقول.

من المؤسف ان الامة الاسلامية قد اصبحت تقدس التاريخ باحداثه ورجاله حتى في حالة تناقضهم مع مقتضيات الدين، لقد اصبحت مناقشة التاريخ، اعادة تقييم السلف، نقد الرجال الذين لعبوا دوراً في ماضي الامة، اصبحت كلها في عداد المحرمات، لقد اصبحنا نطبق عملا قول ذلك الاعرابي الذي سئل عن قبر في مرج عذراء فأجاب «هذا قبر سيدنا حجر بن عدي صاحب رسول الله الذي قتله سيدنا معاوية بن ابي سفيان صاحب رسول الله لانه والى سيدنا علي بن ابي طالب خليفة رسول الله»، لقد اصبحنا نقدس القاتل والقتيل، نحترم المظلوم والظالم، نجمع بين النقيضين تحت سقف واحد، لاننا نخلط بين التراث والدين، ونعطل عمل العقل الذي هو حجة الله الباطنة ودليل الخلاص، بينما في المقابل نجد القرآن ينعى على الناس اتباعهم لابائهم واغماضهم عن قول الله ونداء الرسول، ونجد في كل مكان الدعوة الى التفكير والتأمل والتدبر واعتبار الوحي مقياسا فوق كل شيء.

* * *

نحنُ وَالغربُ: حِوارٌ أم قطِيعَة ؟!

□ في كتاباتكم حول تناقض الحضارات اعتبرتم حضارة الغرب القائمة اليوم حضارة نقيضة لحضارة الاسلام ومعادية، كما واعتبرتم الحضارات السابقة كحضارة اليونان التي تسربت ثقافتها وفلسفتها الى العالم الاسلامي ابان حركة الترجمة وأدت الى تشوه الثقافة الاسلامية الاصيلة هي ايضاً نقيضة للحضارة الاسلامية.. فهل نفهم من ذلك بالنسبة للعلاقة مع حضارة الغرب القائمة اليوم ستكون علاقة تناقضية بما فيها من ايجابيات، ذلك لان علاقة التناقض تثير الروح الاصيلة ودوافع الذات في ذات الامة المتناقضة سواء الضعيفة أو المغلوبة فتدفعها نحو تكميل نواقصها ومعالجة عيوبها للانطلاق الى المشابهة على الأقل اذا لم نقل التفوق على تلك الحضارة القائمة، حيث ان قيام الحضارات غالباً ما كان نتيجة لرد فعل تجاه حضارة أخرى قوية يتمحور ذلك الرد

حول العودة الى الذات .

ام ان العلاقة ستكون علاقة حوار حيث قلتم بأن الثوابت التي تقوم عليها اي حضارة هي بالنتيجة ثوابت انسانية حركية واحدة، اكثر فما هي ثوابت جنسية أو قارية او وطنية .

■ أرى ضرورياً تحديد مفهوم الحضارة كي لا تختلط الأمور، فهناك جانبان في اي عملية حضارية، احدهما القاعدة التي تقوم عليها مجموع الانجازات المادية والمعنوية التي نسميها بالحضارة، والثاني المظاهر المادية التي تعبر عن القوة في شتى اشكالها، والتي قد تكون ناتجة عن احدى الحضارات وقد لا تكون، أن هذين الجانبين متداخلان على ارض الواقع بدرجة قد تعيق امكانية التميز بين ما هو حضاري منها وما هو نقيض للحضارة، لذلك لا بد من التميز بينها نظرياً حتى لا تختلط علينا الأمور اذا ما اردنا المقارنة بين ما هو مفروض وما هو واقع وعلى سبيل المثال فنحن نجد شعوباً متحضرة واستطاعت ان تقيم حضارات شامخة على ارضها لكنها استثمرت جانباً من منتجات حضارتها في التخريب والاضطهاد وهو عمل نقيض للحضارة ولا يمكن التمييز بينه وبين التخريب والاضطهاد الذي مارسته شعوب متوحشة او غير متحضرة، فاليابان التي بنى شعبها هيكلاً حضارياً يستحق التقدير، اذاقت الفيتناميين وشعوب شرق آسيا في النصف الاول من هذا القرن اشد العذاب وحاولت غزو اراضيهم والاستيلاء على ثرواتهم والقضاء على المقومات الثقافية والاقتصادية لمجتمعاتهم ومثل ذلك فعل الالمان في اوروبا والامريكيون والاوروبيون في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية هذه الاعمال التي استثمرت فيها منتجات الحضارة (تقدم فني ـ سلاح ـ اموال . . . الخ) تشبه من حيث مؤدياتها الغزو المغولي للشرق الاوسط في القرون الوسطى، كما تشبه هجوم القبائل المتوحشة على المدن

المتحضرة في اوروبا القديمة، فالنتيجة نفس النتيجة، وغاية ما هناك من فرق ان هجمات المغول والمتوحشين كانت بدائية الاساليب، بينما غزوات الاوروبيين قام بها اناس يملكون حضارة متقدمة .

في الوقت الراهن يطلق اصطلاح الحضارة (لاسيما في الصحافة ووسائل الدعاية) على كل مظهر من مظاهر القوة، يطلق على نفسه متحضراً كل شعب تتوفر له وسائل القوة والتفوق بغض النظر عن اساليب استعمال هذه القوة او اغراضها والآثار الناتجة عن استعمالها، والدول العربية التي تدفق البترول في اراضيها، أو حصلت على مساعدات أجنبية قوضت بنيانها الثقافي والاجتماعي لتقيم آلاف العمارات ناطحة السحاب وشقت الشوارع الفسيحة واندفعت شعوبها لاستهلاك كل جديد من منتجات العالم الصناعي، بعد ذلك اطلقت على مجموع هذه المنجزات اسم «الحضارة» واعتبرت نفسها متحضرة، ودولة البرتغال مثال آخر فهذه البلاد حظيت بقوة عسكرية كبرى واموال هائلة استثمرتها في الغزو والسيطرة على بلاد العالم ولا زال للبرتغال مستعمرات في آسيا والمحيط الاطلسي حتى يومنا هذا، رغم ان التاريخ لم يسجل قيام حضارة في البرتغال خلال القرون العشرة الاخيرة، لكن البرتغاليين اعتبروا انفسهم رسل حضارة، واعتبروا ان لديهم حضارة تمنحهم حقوقاً مكتسبة في العالم حينما أرسلوا سفنهم للسيطرة على شعوبه واستعمار اراضيها، الدولة العثمانية مثال ثالث فقد سيطرت على مجموعة من البلاد قلّ ان قدرت عليها دول قبلها، رغم ان العثمانيين قاموا بتدمير حضارة الشرق الاسلامية بدل ان يقيموا حضارة او يحافظوا على بقايا الحضارة السائدة فمن هذا نستنتج أن القوة العسكرية، والثروة ليستا بالضرورة تعبيراً عن حضارة، بل قد تكون مظاهر الترف واستهلاك الثروات الطبيعية والمبالغة في صناعة القوة العسكرية تعويضاً نفسياً وسياسياً للدول والشعوب العاجزة عن الولوج الى ميدان الحضارة الحقيقية.

الحضارة في مفهومها الحقيقي هي مجموعة القيم المعنوية التي تنظم محاور العلاقة بين الانسان والانسان من جهة وبين الامكانات الطبيعية التي خلقها الله للانسان

في هذه الأرض وسخرها لتكون رصيده في مسيرة التكامل والرفعة ﴿**ألم تروا ان الله سخّر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**﴾ (٤٤).

هذه القيم يتفق جميع البشر على قدسيتها، فالله تعالى خلقهم وفطرهم عليها وهي تشكل ايضاً المسبقات البديهية في الحكمة وقواعد النشاط العقلي التي لا تختلف من زمان الى آخر او مكان الى آخر، فاينما ذهبت ستجد الناس يبغضون الكذب والخيانة والبخل ويمجدون الصدق والأمانة والايثار، ولن تجد من يدعي بأن الظلم حسن وان العدل قبيح أو أن الحرية مرفوضة والعبودية مرغوبة، ان اتفاق البشر على هذه القيم دليل حاكمية العقل والفطرة، ودليل على وجود قيم فوق المادية، ليس فقط عند الطيبين من البشر، بل وحتى عند العصاة والمجرمين، فلن تجد مجرماً يتفاخر بالسرقة والظلم وايذاء الآخرين باعتبارها اعمالاً مجيدة، ان عدم تطبيق بعض البشر لتلك القيم في حياتهم ليس دليلاً على عدم وجودها او عدم صلاحيتها.

الحضارة الحقيقية منظومة متكاملة من القواعد التي هي القيم الدافعة والمحركة للانسان والناظمة لعلاقته مع بقية البشر ومع ما فيها من امكانات وخبرات، وديناميكية التفاعل داخل المنظومة تهدف الى تسيير حركة الانسان نحو التكامل، وقد تتوفر هذه العناصر لمجموع الجنس البشري او لبعض البشر، واستمرار سيرها الصحيح مرهون بعدم استثارها في الاضطهاد والاساءة للبشر الآخرين او للمحيط الطبيعي.

المسألة الأخرى حول العلاقة التي تنشأ بين الشعوب التي تملك حضارة وتلك التي لا تملك، بين الحضارة والتخلف، فالاستاذ توينبي يرى ان وجود حضارة في مكان ما يشكل تحدياً للشعوب الأخرى الواقعة خارج دائرة هذه الحضارة فبعض الشعوب تستجيب للتحدي وبعضها لا يستجيب، واعتقد ان الاستجابة اذا تمثلت في تحد مضاد يستثير عوامل القوة ودوافع الأبداع فأن هذا الشعب

يبدأ مسيرته الحقيقية نحو صنع حضارته الخاصة، حينذاك سوف يستفيد هذا الشعب من الحضارة القائمة للشعب الآخر أجلَّ استفادة، فيزاوج بين عناصر قوته الخاصة وبين عناصر التقدم العلمي لدى الحضارة القائمة، عكس ذلك يحصل اذا كانت الاستجابة ضعيفة او معدومة، فأن هذا الشعب يضيع فرصة الاستفادة من تجربة الانسان التي توصف بأنها ملك مشترك للبشرية بمختلف اجيالها، ويظهر ضعف الاستجابة للتحدي او انعدامها في حالتين: الاولى، الانعزال ورفض التفاعل مع الحضارة باي شكل، الثانية الانبهار بمظاهر الحضارة والشعور بالنقص تجاهها ثم انسحاب هذا الشعور على عناصر القوة في ذات الشعب مما يؤدي بالنتيجة الى الانسلاخ من هذه العناصر فلا يستفاد منها للنهوض، رغم انها لازمة ضرورية لتفاعل صحيح مع الحضارة القائمة، عند ذلك يصبح الشعب المنبهر مجرد متأثر بنتاجات ومظاهر تلك الحضارة دون ان يشارك فيها او يصنع حضارته الخاصة.

□ **المسلمون اليوم في حالة نهضة، الغرب حضارة قائمة، ونحن نتطلع الى حضارة لعلها تشبه في جوانب معينة حضارة الغرب، فكيف يجب ان تكون العلاقة بيننا وبين الغرب علاقة حوار ام تناقض؟**

■ الانسان كفرد من مجتمع والشعب كجزء من المجموعة البشرية الكونية تصاغ شخصيته بتأثير عاملين تاريخه ومحيطه، وبالنسبة للأمم والشعوب فأن حاضرها هو الخلاصة التركيبية لتفاعل وتداخل العاملين، عامل التاريخ باعتبار أن خصوصيات اي شعب وعناصر الدفع والاحباط في شخصيته هي النتيجة المكثفة لمجموع تجاربه على مر السنين، وعامل التفاعل مع المحيط الكوني، المجموعة البشرية التي يشترك معها شعب من الشعوب في الحياة على

هذا الكوكب في زمن محدد ، نحن ابناء آبائنا وابناء عصرنا ، والأبوان كلاهما يشتركان في صناعة حاضرنا ، تأثير التاريخ يتضح في نمط الشخصية الخاص الذي يتميز به المسلم المعاصر ، وهو ما نسميه بالثقافة أو خلفية السلوك، أو قل انها مجموعة من العناصر غير المرئية نختزنها في عقولنا الباطنة تنعكس على أرض الواقع كاساليب حياة ورؤية للأشياء وانماط للتفكير والعلاقات ، هذه العناصر هي ما نسميه بالتراث الاسلامي ، والذي ليس بالضرورة هو الاسلام بعينه ، انها مجموعة من النتائج لتجارب توصل اليها مسلمون لعلهم اهتدوا خلال ممارستها بالمنهج الاسلامي ، لكن انصهار تلك النتائج مع نتائج لتجارب أخرى في بوتقة النشاط الانساني عبر القرون الماضية لم يكن ليؤدي ـ بالضرورة ـ الى تكوين تفرعات منسجمة تمام الانسجام مع الاصل الاسلامي وعلى هذا فنستطيع القول ان ما نعتبره الآن تراثاً اسلامياً ، او حضارة اسلامية ، ليس بالضرورة مرادفاً لما نطلق عليه (الاسلام) ، ما لدينا الآن فيه شيء من الوحي كما ان فيه شيئاً من موضوعات البشر .

عند الغرب تجد الشيء ذاته فالحضارة الغربية تنسب تاريخياً الى اصلها الأوروبي وبالذات الحضارة الهيلينية ، اريد التوصل من خلال هذا العرض الى ان كل شعب يريد النهوض فأن عليه ادراك العناصر التي تتكون منها شخصيته نحن لا نستطيع ان نتخلى عن اصولنا التاريخية لان تاريخ الامة عامل مهم في صنع حاضرها وحضارتها الخاصة التي ستكون فيما بعد تراثاً للاجيال الآتية ، أو مكوناً لجانب من عناصر بناء الحضارة الخاصة باجيال المسلمين الآتية ، في جانب التفاعل مع الحضارة القائمة اؤكد على اننا نتعامل مع واقع هذه الحضارة وليس مع تاريخها ، كما ان الغرب في بداية نهضته تفاعل مع واقع الحضارة القائمة للمسلمين يومذاك وليس مع تاريخهم واصولهم الثقافية فأخذ منهم الجانب العلمي والتكنولوجي ولم يأخذ مقومات الشخصية وهكذا فنسبتنا الى تراث الغرب هي كنسبة الغرب لتراثنا ، نحن ابناء التراث الاسلامي ، وهم ابناء التراث الاغريقي ، لكن نسبتنا الى واقع الغرب وحضارته مثل نسبتهم في بداية النهضة

الاوروبية الى حضارتنا التي كانت قائمة .

اردت من هذا الحديث الرد على تيارين في العالم الاسلامي ، تيار يدعو الى نبذ كل اشكال التفاعل مع الحضارة الغربية والتوجه للنهوض بالاعتماد على المقومات الذاتية التي ليست كلها « اسلاماً » ، والتيار الآخر تيار المتغربين الذين يدعون الى نبذ التراث والاتجاه الى التفاعل الشامل مع الغرب واتباعه في كل جانب لبناء حضارة شبيهة باعتبار ان ما لدى الغرب اليوم هو ذروة ما وصل اليه الانسان منذ ان وجد على هذا الكون .

* * *

المباشر للمقاومة التي اظهرتها الشعوب الاسلامية كنوع من الدفاع عن ذاتها، ونجد في هذا التفسير العلاقة الطردية بين حجم وعمق موجة التغريب في كل بلد وبين حجم وعنف المقاومة الشعبية لرموز تلك الموجة من سلطات او نخب متغربة او مؤسسات.

أقول أن دورهم في المرحلة الاولى سيكون محدوداً لان موج التحرك فيها موج ذاتي واصيل نابع من روح اولئك الذين لم يفقدوا ذاتيتهم تجاه اي طرف آخر. اما في المرحلة التالية وهي مرحلة البناء فنحتاج الى الطبقة التي تتمتع بمستوى راق من المعرفة الفنية لتوظف معرفتها في اقامة الهياكل المادية للحضارة.

* * *

مذاهب جديدة؟

□ هناك اتجاهات مختلفة في فهم الاسلام حالياً، اربما تكون تمهيداً لمذاهب جديدة. فهناك الاسلام بالصورة التي طرحت في ايران، والاسلام الصوفي، واسلام بقية الشيعة خارج دائرة الثورة الاسلامية، واسلام أهل الظاهر الذي يتزعمه علماء الوهابية، وهناك اليسار الاسلامي، والخط السلفي.. الخ. كيف تنظرون الى هذه الاتجاهات؟ هل ستلتقي في النهاية عند نقطة واحدة ام ان البداية هي - ضمنا - نقطة افتراق، علماً بأن هذه الحالة قد مهدت في السابق لظهور المذاهب؟

■ من الضروري ان لا ننظر الى المذاهب نظرة جامدة، ليس صحيحاً القول بان المذاهب في عهدها الأول هي ذاتها القائمة الآن، وحينما نعود الى التاريخ نجد أن الحقائق متباينة رغم ان الاسماء لم تتغير، هذه ناحية، والناحية الأخرى اني لا أستبعد فعلاً ان تكون التوجهات الحالية ارهاصات لمذاهب جديدة، فالظروف المتغيرة التي تمر بها الأمة الاسلامية قد تتمخض عن

فهم جديد للحقائق الدينية. خاصة وان القرآن والسنة التي تفسره وهما اساس الاسلام لا زالا وسيبقيان متقدمين على الزمن، ولا يستطيع أحد الادعاء بأن جيلاً من الاجيال السابقة أو المعاصرة قد طبقه بحذافيره لانه أوسع واعمق من أن يستطيع جيل عاش فترة زمنية محددة استيعاب معطياته الكاملة، لذا ورد في الاثر عن ابن عباس: «القرآن يفسره الزمان»[٤٩]، فلو أن القرآن قد تم استيعاب كامل معطياته في زمن من الازمان لما حاز هذه العظمة التي يتمتع بها عظمة الخلود وتجاوز حدود الزمان والمكان، ان القرآن كالشمس التي تشرق كل صباح فتعطي النشاط والدفء والغذاء وتفعل كل يوم كذلك دون ان تنتهي بنهاية جيل او اختلاف الزمان والمكان. هل تستطيع الادعاء الآن بان عطاء الشمس قد تم استيعابه بالتمام في اي زمن من الازمنة او اي مكان؟ بالطبع لا، فما زالت لهذه الشمس عطاءات متجددة وسيكتشف الانسان ان في طيات شعاعها طاقات لم تكتشف في الأجيال السابقة وسيعرف القادمون في مستقبل الازمان اشياء فيها لم نعرفها اليوم، كذلك القرآن الذي اصبحنا نفهمه بشكل افضل مما فهمه السابقون، وسيفهمه الآتون بشكل افضل مما فهمناه وهكذا.

على هذا الاساس أقول ان تقدم الانسان في فهم معطيات القرآن والسنة الشريفة قد تساعده على تجاوز الانتاج العلمي للسلف هذا الانتاج الذي كان تركيبا من الفكر الديني الصافي ومقومات الشخصية والثقافة الاجتماعية في الزمن الماضي انتج عندما وضع في إطار زماني ومكاني ما نسميه بالمذاهب، أني أجد ان بعض المذاهب كانت تعبيراً عن تفاعل الطبيعة الاجتماعية لجماعة معينة مع النصوص الدينية فالخوارج الذين اصطبغ فهمهم للدين ومذهبهم بطابع العنف والحدية النصوصية كانوا - في الحقيقة - يعبرون عن طبيعة قبيلة (بني سليم) الذين نشأ المذهب الخارجي في اوساطهم والذين عرفوا على الدوام بالخشونة والعنف واغفال جانب الرحمة واللين في علاقاتهم بالناس والحياة، ومذاهب أخرى ارادت التخلص من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم فأخذت بالفصل بين الدين والسياسة بحجة الحفاظ على الدين وعلى الانفس

فصاروا مرجئة الخ.. فكل جماعة اخذت الدين مع تركيز على الجانب الذي يتلاءم وشخصيتها او يلبي حاجاتها، واهمال للجوانب الأخرى، فليس كل مذهب تعبير - بالضرورة - عن كمال الدين، انه تعبير عن فهم للدين في مرحلة معينة وظروف معينة، ولذلك نجد أن هذه المذاهب تتناقض مع بعضها في أمور كثيرة، فاذا كان كل مذهب يمثل (كامل الاسلام) فان التناقض بينها يعني تناقض الاسلام مع ذاته وهذا مستحيل واذا قلنا بان كل ما جاء به فقيه المذهب صحيح - كما قالت المصوبة - فنحن ننفي ضمنا وجود حكم شرعي واحد وأمر لله واحد وقانون واحد، اذن فالمذاهب هي انماط في فهم الدين تعبر عن مستوى الانسان في زمنه ومكانه وظرفه المعين وما دام الأمر كذلك فالالتزام بحرفية المذهب الذي تأسس قبل الف عام ليس واجباً للانسان اليوم وهذه الرؤية هي العلة الأصلية لمبدأ الاجتهاد ووجوب الرجوع الى الفقيه الحي القادر على فهم العصر والناس.

خلاصة القول، ان فهمنا للمذاهب واسباب ظهورها باعتبارها انعكاسات متوالية بين النص الديني والظرف الاجتماعي المحدد بالزمان والمكان، انعكاس لهذا في اطار ذاك، فان ظهور مذاهب جديدة الآن ليس امراً غريباً بل هو جزء من دورة تاريخية قد لا تصنف تحت عنوان المذهب، لعلها تسمى طريقة او حزب او ما اشبه، لكنها مجرد عناوين لحقيقة واحدة.

□ في واقع المسلمين الحاضر، هناك كيانات متعددة، كل كيان يؤمن بثقافة متكاملة ويعتمد على منكّر او مجتهد معين وله اساليب عمل متميزة، وعلى الرغم من وجود اكثر من القاسم مشترك بينها الا ان نقاط الاختلاف دفعت بكل كيان الى الانفصال عن الآخر، هل هذه الحالة

بالتحديد هي ارهاصات ظهور المذاهب الجديدة؟

■ بعض الكيانات ـ وليس كلها ـ هو بالفعل تمهيد لمذهب، المذهب شكل موسع ـ ثقافياً واجتماعياً ـ عن الكيان المتمثل في الحزب أو الجماعة، لكن هذا ليس أمراً مقلقاً، انه كما قلت مظهر من مظاهر دورة تاريخية. فالمذهب تعبير عن مرحلة زمنية ومصالح مرتبطة بتلك المرحلة يزول بزوالها او يبقى اسمه مع ذهاب مضمونه واشباعه بمضمون جديد، وعلى اي حال فالمذاهب كلها ستنتهي ويبقى الاسلام كقوة فكرية وروحية تعكس تأثيراتها على الطبيعة البشرية في مختلف الظروف، لا ريب انه سيبقى على هذه الارض بشر متطرفون يتخذون جانب العنف والشدة في الاسلام فينشأ مذهب متطرف، وسيبقى اناس مسالمون يصنعون مذهباً اسلامياً مسالماً وسيبقى منهزمون ومستسلمون ومعتدلون وظاهريون وباطنيون يفهمون الدين بما ينسجم مع طبيعتهم ويلبي حاجاتهم.

★ ★ ★

الباب الثالث
الحركة الإسلامية
اتجاهات الصِّراع

يقرأ ومن الذي يسمع ؟ اني اعتقد بان العنف الذي تقوم به الحركة الاسلامية وهو حالة دفاع عن الذات وهو خيار اخير بعد ان يئست من قبول الانظمة بالوسائل السلمية كاداة للعلاقة .

* * *

تجربة الثورة الاسلاميّة في إيران

□ اوشكت الجمهورية الاسلامية في ايران على دخول العقد الثاني من العمر، كيف تقيمون مسيرة الثورة خلال السنوات المنصرمة، والى اي مدى استطاعت ان تحقق اهدافها؟

■ لا اتصور ان شخصا من الناس، او ظاهرة سياسية او اجتماعية قادرة على بلوغ الكمال في مرحلة زمنية قصيرة كهذه، ان عشر سنوات في حياة انسان ليست شيئاً فكيف بها في حياة دولة،.. كما ان بلوغ الكمال المطلق غير ميسور كما يبدو لي في هذا الزمان، وغاية ما يسعى اليه المخلصون هو الكمال النسبي، فاذا استطعنا ان نتفوق على الآخرين فنحن ناجحون، بمعنى اننا قد ارتفعنا درجة في سلم التكامل.

وبالنسبة للثورة الاسلامية في ايران فاني اقيسها من زاويتين، زاوية المقارنة بينها وبين حركة الرسول عليه الصلاة والسلام والائمة الراشدين ممن استنار بهداه وسار على منهجه، باعتبارها حركة دينية، وزاوية المقارنة بينها وبين نظائرها من الثورات والانتفاضات وحركات التغيير والتحرر التي قامت في هذا العصر، باعتبارها حركة تحرر وطني واجتماعي مصنفة في الاجمال ضمن اطار الحركات السياسية.

من الزاوية الاولى نجد ان بيننا وبين حكم رسول الله أو حكم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب مسافة كبيرة تحتاج الى زمن طويل لتقطع ، اما في الزاوية الاخرى فالثورة الاسلامية تجاوزت بعدة مراحل التجارب الاخرى ، وتتمتع الثورة الاسلامية بميزات عديدة نادراً ما تجد احداها في اي من الثورات الأخرى ، وفي الوقت الراهن نحن مطمئنون كل الاطمئنان الى ان هناك انصاراً متزايدين للثورة في داخل ايران وعلى امتداد العالم الاسلامي ، وان قيم وشعارات هذه الثورة آخذة في التأثير على قطاعات عديدة من المسلمين ، بل لقد استطاعت فعلا تثبيت مفاهيم كانت حتى سنوات قليلة تطرح نفسها بحياء وتلقى اشد المقاومة ، اهمها مفهوم ان السياسة والعبادة شيء واحد في المنظور الشرعي الاسلامي ، وان الجماهير تملك بذاتها قوة فعل تفوق قوة الحكومات ، وان النظام الدولي الذي فرضه المستكبرون على العالم قابل للاختراق والخلخلة وما اشبه ، فهذه القيم النابعة من الاسلام ، والتي وجدت مصداقيتها في النظام الذي صنعته الثورة اصبحت ثوابت ، واصبح المسلمون يتطلعون الى ولوج آفاقها والتفاعل معها في سعيهم للتحرر والخلاص من السيطرة الاجنبية او تسلط الدكتاتورية المحلية.

من جهة اخرى نجد ان الثورة الاسلامية استطاعت الصمود امام التحديات الداخلية والخارجية واشير بالخصوص الى ثلاث نقاط :

النقطة الاولى: تحدي الحياة في ظل الحصار الدولي والانتقال بالاقتصاد الوطني من دائرة التأثير الكامل لعوامل الدفع الخارجية المرتبطة بنظام تقسيم العمل الدولي الى التفاعل ضمن دائرة تأثير عناصر الدفع الداخلية المرتبطة بحاجة الوطن والمواطن بالدرجة الاولى وهذه الخطوة ساعدت الى حد بعيد في دفع عجلة التنمية المستقلة خطوات واسعة الى الامام ، كما اكدت فساد النظرية القائلة باستحالة النمو الاقتصادي في ظل ندرة الرساميل ، ان محور النشاط التنموي القائم في ايران هو الايمان بقدرة الانسان على استثمار طاقاته الخاصة وامكانات الطبيعة بالحد الاقصى عندما يؤمن بوطنه وعقيدته ويثق في

نفسه ويتخلص من عقدة الصغار تجاه الاجنبي المتقدم .

لقد كان الكثيرون في بداية الانتصار قلقين على هذه الناحية بالخصوص وكانت التساؤلات جرارة ، كيف سندير الاقتصاد ؟ كيف ننمي البلد ؟ كيف نوفر المآكل والملبس والمسكن للشعب ؟ ، كيف نبني في ظل نظام معاد للشرق والغرب ؟ اسئلة كثيرة وكثيرة ، لكن الثورة استطاعت استيعاب التحدي وبدأت في البناء ، لقد استطعنا ـ رغم الحرب ورغم الحصار الاقتصادي والعجز في توفير العملة الصعبة ـ ان نحقق تزايداً منتظماً في معدلات الانتاج الزراعي وانماء الريف ، كما واستطعنا ان نعيد الحياة الى الصناعات التقليدية ، واقمنا صناعات اساسية وجانبية تعتبر نقطة انطلاق قوية باتجاه التحول الى دولة شبه صناعية في المستقبل المنظور ، ولا انسى الاشارة الى الصناعات الحربية وما حققته الثورة من تقدم هائل في هذا المجال حيث اصبحنا نوفر بانتاجنا المحلي ما يزيد على المليار دولار كنا ننفقها فيما مضى على استيراد المعدات العسكرية .

النقطة الثانية: تحدي بناء المجتمع انطلاقا من مبدأ التمرد على مفاهيم وادوات الحضارة القائمة ، فالعالم اليوم هو عالم الحضارة المادية النقيضة من حيث الاساس للاسلام ، الذي هو منهج العمل في الجمهورية الاسلامية ، ان اخراج الانسان والمجتمع الايراني من الدائرة الثقافية والحيوية للحضارة الغربية وادخاله في دائرة حضارية جديدة لم يكن بالامر الهيّن خاصة وان الحضارة الجديدة ليست واضحة المعالم ، وليست موجودة على ارض الواقع قبل بدء مسيرة الثورة ، بينما نجد ان حضارة الغرب حاكمة بمعنى انها مفروضة كامر واقع على كل البشر القاطنين في هذا الكوكب ، وتظهر حاكميتها في النظام الاقتصادي الخاص ، وفي اطار العمل السياسي المحدد الابعاد وفي المفاهيم والثقافات وفي التحديد شبه الالزامي لدور الانسان كفرد وكمجموعة ضمن الوحدة العالمية .

لم تستطع الثورة حتى الآن ان تبني حضارة بديلة لكنها تسير في هذا الاتجاه ، ومن المهم الاشارة الى عملية التغيير الثقافي التي حدثت ولا زالت متواصلة ، سيما فيما يتعلق بوعي الانسان لذاته ودوره. الحدود الواجب وضعها بين قدراته

وحاجاته من جهة وبين الآخرين من جهة اخرى، وطريقة التفاعل الامثل بين الحاجات والامكانات ودون التطلع الى الآخرين، ان ثقافة الاستهلاك التي هي طابع الشعوب في البلاد النفطية خصوصا وبلاد العالم الثالث بشكل عام قد تراجعت وتضاءل حجمها وحل مكانها ثقافة الانتاج والاعتماد على الذات والثقة بالارادة، وهذا ما يجعل شعارات التحدي للغرب والشرق التي نطرحها ذات معنى في نفس الانسان الايراني خصوصا والمسلم بشكل عام.

هذه ناحية والناحية الأخرى هي اقامة الاطر الدستورية لدولة الثورة في سبيل تحديد صورة النظام والعلاقة بين هيئة السلطة والجمهور، وهذه وان لم تكتمل بعد الا انها خطت خطوات اساسية اهمها اقرار الدستور الدائم وممارسة الشعب لحقه في انتخاب ممثليه في الهيئة التشريعية، واختيار رئيس الجمهورية وقائد الثورة فهذه اساسات قد لا تكون متكاملة، وقد يشوبها عيوب في التطبيق لكنها تبقى كأسس وثوابت قابلة للتطبيق وتتمتع بقوة معنوية تتيح الاستفادة منها الآن وفي المستقبل، اشير هنا الى ان قليلاً من الانظمة التي قامت كافراز لثورات شعبية استطاعت تنظيم اطاراتها الدستورية في فترة زمنية قصيرة كهذه خاصة مع وجود الحرب وما تفرزه من تأثيرات على السلطة والنظام الاجتماعي.

النقطة الثالثة: تحدي الصمود في الحرب، فالثورة التي فوجئت في مقتبل عمرها بعساكر صدام حسين تجتم على اراضيها وتحتل مدنها وتدمر الاخضر واليابس في بلادها انتقلت بعد اقل من خمس سنوات الى مرحلة الهجوم واصبحت قواتها تهدد المدن العراقية الكبرى، لقد استطعنا بالفعل اخراج الجيش العراقي المعتدي من اراضينا واصبحت مواقعنا الدفاعية داخل اراضي العراق، ونحن اليوم كما كنا في اول أيام الحرب مصرون على معاقبة المعتدي كي لا يطمع في ضعفنا طامع في المستقبل، وجيشنا الذي كان مفككا، اصبح اليوم متماسكاً وعوضنا نقص السلاح بقوة الايمان وعزم الرجال، لقد كان الجيش في بداية الثورة مثالا للآلة المعطلة فقد تم ابعاد جميع الضباط من رتبة

عميد وما فوق وادى ذلك الى نقص هائل في القيادة لكننا عوضناه بدفع الضباط من المراتب الصغرى للنجاح والتقدم وبالتالي التأهل للقيادة، كما استنفرنا الشعب واصبحنا الآن في موقع صاحب المبادرة بعد ان كان الجميع يهددوننا ويهاجموننا.

اني اقطع الآن بان الحرب التي شنها صدام فشلت في تحقيق اهدافها، فلا هو استطاع ان يفرض علينا تغيير سياستنا ولا هو استطاع تجميدنا كما لم ينجح في المحافظة على جيشه، فبايدينا اليوم سبعون الف اسير من ضباط وجنود الجيش العراقي كما ان في داخل العراق ما لا يقل عن خمسين الف جندي هارب من الحرب، لقد تفكك الجيش العراقي وسقطت معنوياته الى الحضيض بسبب الهزائم المتلاحقة وبسبب الفشل في تحقيق اهدافه.

اريد التأكيد اخيراً على ان هذا الحديث الايجابي عن الثورة لا يعني ان المسيرة خالية من السلبيات فالوحيد الذي لا يخطيء هو الذي لا يعمل، والعصمة لله، ان الشعارات التي طرحناها لا تزال بحاجة الى بعض الوقت لتتحقق جميعها، كما ان بعض السياسات التي طبقت كانت قاصرة بسبب حداثة التجربة او صعوبة الظروف المحيطة خاصة ظرف الحرب، وعلى اي حال فاننا نرجو الله ان يوفقنا للنجاح وتحويل الثورة الى تجربة تحتذى كنموذج للثائرين.

□ كان الاقتصاد الايراني متينا في العهد البائد وكان يقال ان ايران تسعى لتكون دولة صناعية، بينما نلاحظ ان الاقتصاد الايراني قد تدهور وفقدت العملة الوطنية جانبا كبيراً من قيمتها كما ان نصف المصانع متوقفة ـ كما صرح وزير الصناعة

الثقيلة - هل يتم ذلك عن عجز في ادارة البلاد ؟

■ بل يتم عن عجز في النظام الاقتصادي السابق، والذي ورثنا عناصره وتفرعاته عن العهد البائد، لقد كانت الثورة بين خيارين، اما الاستمرار على ذات النظام الذي كان متبعا في زمن الشاه واما احلال نظام اقتصادي جديد، وكان الاختيار الحاسم هو بناء اقتصاد وطني مستقل وتجاوز النظام السابق ورغم ما يفرزه هذا التحول من صعوبات ومشاكل وربما تراجع مستويات الفعالية في الاقتصاد الوطني خلال الفترة الانتقالية، لعلك تسألني لماذا؟ اقول لأن النظام السابق اقام اقتصاداً تابعاً وذيلياً للسوق الرأسمالية، اقتصاد غريب يلبي حاجات الغرب اكثر مما يلبي حاجات الوطن، واشير هنا الى سلبيات اساسية في الاقتصاد التابع دفعت بقيادة الثورة الى اختيار الطريق الثاني، فمن هذه السلبيات انه يكرس النمط الحضاري للدول الاستكبارية وهذا يعني ضمنا اطالة امد سيطرتها علينا، فالاستعمار الجديد الذي يطلق عليه الامبريالية نظام اساسه احتواء الكيانات الاصغر ودمجها في الكتلة الدولية التي تسيطر عليها مراكز القوى في العالم الصناعي، وحينما تبدأ هذه الصيغة من العلاقة بالاقتصاد فستكون المرحلة الثانية الثقافة ومن ثم السياسة، إن تبعية الاقتصاد الايراني كانت تمهيداً للتبعية الثقافية والسياسية، ومن السلبيات ان الاقتصاد التابع لا يمكن ان ينمو ولا يسمح له بان ينمو الا في حدود معينة فليس من المنطقي ان يساعدك الامريكيون على نيل استقلالك ومن ثم الاستغناء عنهم واتباع سياسة مستقلة عن سياستهم ومصالحهم، انهم يسمحون بالنمو في دائرة الارتباط باقتصادياتهم، ان البلاد النامية في هذه الحالة عجلة في ماكنة كبيرة يسيطر عليها رئيس في واشنطن ولندن لا اكثر، على صعيد الواقع كانت الصناعة الايرانية في العهد البائد صناعة تجميع لمنتجات تستورد جاهزة من الغرب فيتم تركيبها وتحويلها ضمن حدود ضيقة الى سلعة ثالثة مثل تجميع

السيارات والمكائن وما اشبه، ومن السلبيات ان الاقتصاد التابع ليس في حقيقته الا اطاراً لاعادة تدوير عائدات البترول باتجاه الدول الصناعية فايران كانت تبيع البترول وتشتري بالمقابل السلع نصف المصنعة، ولم يشهد عهد الشاه قيام اي صناعة متكاملة ومعتمدة ١٠٠٪ على المواد الخام المحلية او الخبرات الوطنية لقد كنا نستورد كل شيء مفككا فنشد له البراغي ونركبه ثم نكتب عليه (صنع في ايران) وهذا لا يسمى صناعة حقيقية، اما الزراعة - وايران دولة زراعية اساساً - فقد تدهورت في العهد السابق واصبحنا نستورد ٨٠٪ من غذائنا من الخارج بعد ان كنا دولة مصدرة للاغذية.

نحن الآن نريد بناء اقتصاد مستقل ومعتمد على نفسه، نريد صناعة تفيدنا وتغنينا عن الاجانب، نريد ان نأكل ما نزرع ونلبس ما ننسج، نريد الغاء محورية النقود وتثبيت محورية الانسان، ولا بد لنا من بعض المعاناة وبعض المشاكل في مرحلة الانتقال، ولا بد لنا من تحمل خسارة العناصر المادية المرتبطة بالنظام السابق وانفاق الكثير من المال على بناء عناصر مناسبة للنظام الجديد، ان المشكلات التي ذكرتها، وضعف الفعالية وانخفاض قيمة العملة هي بعض تأثيرات العملية الانتقال وهي جزء من المعاناة التي يجب ان نتحملها لنيل استقلالنا الوطني.

□ تتحدث بعض الاوساط عن الصراع بين الخط الديني التقليدي، والخط الديني الثوري في الجمهورية الاسلامية حول بعض المشكلات الاقتصادية كمشكلة تطبيق قانون (الارض لمن يزرعها) وحدود الملكية الخاصة ومدى تدخل الدولة في الاقتصاد، ما هي حقيقة هذا الخلاف؟

■ هذا الاختلاف قائم في الجمهورية الاسلامية وليس غريباً حدوث هذا الاختلاف في هذا المجال في الجمهورية الفتية التي بنيت على أساس الاسلام، والسبب في ذلك ان تطبيق القيم الدينية على عصر زاد فيه التعقيد وتشابكت العوامل التي تؤثر في حياة الفرد، ان تطبيق قيم الاسلام على مثل هذا العصر بحاجة الى فهم جديد ومتبلور للإسلام، وهذا الفهم لا بد وان يختلف فيه الناس فبينما البعض يرى بان النصوص الشرعية التي تؤكد على الملكية الفردية واضحة الدلالة كقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمؤمن مال أخيه إلا من طيب نفس منه» [٥٧] أو «الناس مسلطون على اموالهم» [٥٨] أو ما شابهه، أو الحديث الشريف الذي ينظم العقود ويقول فيه رسولنا الأكرم (ص): «المؤمنون عند شروطهم» [٥٩] أو قوله تعالى: **﴿اوفوا بالعقود﴾** [٦٠] ان ذلك يعني المزيد من الحرية الاقتصادية وهو بالتالي مما يؤيد اعتبار النهج الاقتصادي الاسلامي شبيهاً للنهج الليبرالي في الظاهر.

بينما هناك في المقابل قيم اسلامية أخرى تؤكد على العدالة الاجتماعية، تؤكد على حقوق الانسان وعلى ان المال مال الله وليس مال الانسان وان الوظيفة الاساسية للاموال انما هي قيام الناس بها كما يقول ربنا سبحانه وتعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾** [٦١].

لدينا ايضاً قيم عقلية من بينها ان المال يصبح ملكاً للفرد اذا كان قد حصل عليه بانتاجه، وبجهده، أما اذا كان عبر استثمار طاقات الآخرين فانه ليس ملكاً له بل لأولئك الذين بذلوا الجهد.

لقد حرم الاسلام الربا وحرم الاحتكار وحرم الاسترسال وقال (ثمن المسترسل سحت) حتى ان هناك احاديث تؤكد على انه ينبغي الابتعاد عن الربح الفاحش، كل ذلك يؤكد على نهج اسلامي معين في الاقتصاد الذي يشرف عليها النظام وتشرف عليه الدولة وبالتالي القريب من النهج القائم في الدول الاشتراكية. ولا يسعنا نحن في هذه العاجلة الا ان نقول بان الزعم بان الملكية الفردية محترمة في الاسلام، كدليل على امكانية فتح المجال لسيطرة

كبار الملاكين، أو ان التجارة الخارجية يجب ان تكون خاضعة لمبدأ العرض والطلب، لا يسعنا الا ان نعتبر الاتجاهين كلاهما بعيدين عن الدقة واستيحاء روح التشريع، هذه الاحكام الكاسحة الكلية كالاحكام الكاسحة الكلية الأخرى التي تدعو الى المزيد من تحديد الملكية وتشديد تدخل الدولة وبالتالي سيطرتها على التجارة الخارجية وعلى السوق المحلية سواء في البعد عن روح الاجتهاد والدقة في فهم الاحكام الشرعية.

ويفضل ان لا تخضع هذه المسائل لتوجهات الرأي العام وان لا تكون موضوعاً للاستثمار في الخلافات السياسية التي بالطبع ليست مجالا للبحث الدقيق والتركيز في فهم النصوص الشرعية، انما ينبغي ان تكون هنالك مجالس علمية متخصصة فيها من الفقهاء والباحثين الاسلاميين بقدر ما فيها من الاقتصاديين والباحثين العلميين المتخصصين في العلوم الحديثة ينبغي ان تكون هذه المجالس مراكز للتحليل ولفرز النظريات الاقتصادية عن بعضها ومعرفة ما يطابق الاسلام وما يخالفه، وبالتالي ينبغي ان نجعل كل ذلك خاضعاً للتقييم الموضوعي لاننا لا نريد فقط ان نقيم دولة لمنفعة جيل معين في زمن معين، انما نريد ان نقيم دولة وفق ما أوحى به ربنا سبحانه وتعالى، ومعرفة الوحي ليست سهلة، خصوصاً في الحوادث الواقعة وفي القضايا التي تتشابك فيها العوامل الخارجية مع العوامل الداخلية والاحكام الشرعية مع الضرورات الاجتماعية، مع الضرورات المعاصرة، مما يدعونا الى حالة من البحث الموضوعي الدقيق.

□ كان الشعب الايراني كسائر الشعوب الاسلامية يعاني من انفصام بين التراث الثقافي الخاص والثقافات الواردة خلال العقود الأخيرة والتي تبنتها الطبقة المثقفة بشكل خاص، وقد أدى ذلك إلى قيام خليط غير متجانس من الثقافات المتداخلة

في جانب، والمتناقضة في جانب آخر، تعزز في العقد الأخير من العهد البائد، ترى إلى أي حد استطاعت الثورة الاسلامية تغيير ثقافة المجتمع الايراني؟

■ الثقافة التي كانت في ايران قبل انتصار الثورة كانت من نمطين، ثقافة تقليدية مصدرها التراث والقيم الاسلامية وثقافة جديدة تنبعث من التأثير الثقافي للاتصال مع العالم الصناعي. هذه الحالة، حالة التعددية التي هي قاعدة لعدم التجانس لا تزال قائمة لان الثورة انتصرت فاسقطت النظام السياسي القديم، لكن هذا لا يعني ان كل المشاكل الحضارية التي كانت قائمة قد انتهت بقدرة قادر.. كلا.

ان الفرز الثقافي ومعرفة ما ينفعنا نحن المسلمين من ثقافات الغرب والشرق وما يضرنا ليس بالامر السهل، والقضية أيضاً لا تخضع للشعارات ولا تخضع للارادات، انما تخضع لدراسة موضوعية معمقة من قبل باحثين واعين مرتبطين بالساحة الاجتماعية يستطيعون ان يفرزوا بين ثقافة وأخرى لكن لا بد من التأكيد على ان ما حدث حتى الآن وخلال هذه الفترة الوجيزة من اغناء للثقافة الشعبية بالجوانب المشعة من الثقافة الاسلامية والجوانب المفيدة من الثقافة الغربية أو المادية يعتبر انجازاً كبيراً وهائلاً سواءاً ما انجز بواسطة مؤسسات رسمية كمؤسسة الثورة الثقافية وفروعها المختلفة في الجامعات والمعاهد العالية، أو ما انجزته الحوزة العلمية وكذلك ما انجز على يد مثقفين مستقلين، انه أمر مثير للاعتزاز والفخر.

وبالرغم من اننا نعتقد بان ما جرى حتى الآن دون مستوى الكفاية بكثير الا ان ما تحقق يعتبر بداية حسنة ومشجعة لمسيرة طويلة وشاقة، هناك تفاسير قرآنية جديدة كتبت وهناك بحوث كثيرة وهناك ترجمات لكتب مع تعليقات، على أي حال فان أي امة تحتاج في مرحلة النهضة لمثل هذه الظروف لتنمية

الثقافة.

الفرنسيون حينما ثاروا وبدأوا عصر التنوير أخذوا ينبشون في تراثهم يغيرون بعض الثقافات ويبدلونها، وتطورت هذه الثقافات شيئاً فشيئاً، فأغنوا ثقافتهم بافكار الآخرين وهكذا الى ان تكونت عندهم هذه الثقافة القائمة.

كذلك نحن بحاجة الى مسيرة من هذا القبيل، يجب ان تنشط حركة الترجمة مع التعليق، وتنشط المراكز العلمية وبالذات مراكز تفسير القرآن واعادة كتابة التاريخ واعادة النظر في التراث وبالتالي كل ذلك يؤدي الى ايجاد الحركة الثقافية في الأمة.

□ الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية دعوة قديمة اطلقت منذ اوائل عصر النهضة، لكن يبدو لي ان احكام الشريعة لم توضع حتى الآن في صيغ قانونية متكاملة بحيث تكون جاهزة للتطبيق عند قيام دولة اسلامية بل يبدو لي ان نظرية القيادة الاسلامية التي هي - حسب المنظور الشيعي - ولاية الفقيه لم تتبلور حتى الآن في صيغة دستورية واضحة، فكيف سيتم تطبيق النظام الاسلامي، خاصة وان الحياة تحتاج لتنظيمها الى مئات عديدة من اللوائح القانونية في مختلف الجوانب من سياسة الى اقتصاد وادارة الخ..؟

■ اشم من سؤالك رائحة الفكرة التي طالما روج لها الغربيون وتبعهم العلمانيون في بلادنا بان الاسلام والحركة الاسلامية تفتقر الى برامج البناء، بناء

الدولة والمجتمع وانها لا تملك تصوراً للنظام الاقتصادي والسياسي الخ...

اريد في البداية نفي هذه الفكرة فالاسلام الذي انتصر لاول مرة في العصر الحديث واقام الدولة الاسلامية في ايران استطاع ان يحقق ـ عمليا ـ ما لا يزال الآخرون يتحدثون عنه ويطرحونه ـ نظريا ـ منذ نصف قرن من الزمن، لعلنا لا نملك البلاغة الكافية في الكلام والدعاية ـ كما يملكون ـ لكننا بالقطع نتقن تنفيذ ما نريد، ونتقن اكتشاف حاجاتنا كما نتقن الاصرار على تلبيتها وعلاجها بوسائلنا الخاصة، ففي ايران اقمنا دولة ومؤسسات دستورية ونظاماً شعبيا ديمقراطياً قد لا يعتبره الآخرون كاملاً في ديمقراطيته لكنه بالقطع ارقى من كل الانظمة القائمة في الشرق الاوسط من حيث مستوى المشاركة الشعبية في العمل السياسي والتعبير عن الرأي، من ناحية اخرى ادار الاسلاميون حرباً واسعة ولعدة سنوات مع عدو مسلح من قمة رأسه حتى اطراف اصابعه، مدعوما من كل قوى العالم رغم اننا لم نكن نملك السلاح ولا الدعم الخارجي، وقد انتصرنا حتى الآن، وفي غمرة هذه الحرب جرت عملية تطوير واسعة للبلاد وبدأنا في ايجاد وتنمية صناعتنا، ولعل الجيش الايراني هو الجيش الوحيد في العالم الثالث الذي لا يوجد فيه خبير اجنبي واحد، ان مواجهة الولايات المتحدة والقوى الأخرى المعادية ليست الا دليلاً على ان الحركة الاسلامية تتقن برمجة عملها كما تتقن تنفيذ البرامج، ان ايران اليوم متقدمة صناعيا، متقدمة اقتصادياً ومتقدمة سياسياً على جميع دول المنطقة بما فيها تلك الدول التي يحكمها منظرون ينادون بافتقار الاسلام الى البرامج، قل لي اين نجحت برامج هؤلاء؟ في مصر، ام العراق ام في غيرها من البلدان؟.

نحن نطبق الشريعة الاسلامية بمعنى تطوير البلاد، اشاعة الوعي والمعرفة، تعزيز الاستقلال والسير نحو الاكتفاء الذاتي، وتوسيع مشاركة الشعب في الحياة السياسية، هذه هي الشريعة الاسلامية.

اما عن سؤالك فاقول: ان من اسباب خلود القرآن، وتحديه للزمن كونه كتاباً لطيفاً بمعنى انه شديد المرونة يلامس الجوهر ولا يقف عند حدود المظهر،

يؤكد على القيم قبل الاحكام، وعلى الاحكام العامة قبل الاحكام الخاصة.

لا ارى اي فضيلة لنظام او دين او مذهب يملك حشداً هائلاً من القوانين الثابتة والجامدة ضمن حدود زمانية ومكانية، فمثل هذه القوانين تتحول الى اغلال للمجتمع وعائق لحركته قبل ان تكون قنوات لادارته، ان افضل المذاهب والدساتير هي تلك التي تتصف بالمرونة، والتي تستطيع التكيف مع الظروف المتغيرة والمتطورة، بل والتكيف مع الحالات الفردية والخاصة. العالم اليوم متوجه الى اشباع الحاجات الفردية بمعنى صياغة قوانين، وابتكار اساليب للحياة تراعي السمات الخاصة والمطالب الخاصة لكل فرد بصورة تجعله قادراً على تحقيق ارادته ورغباته دون الاخلال بالنظام العام للمجتمع، وهذا يعني تطبيق روح القوانين وليس نصوصها لأن اي قانون مهما طالت نصوصه لا يمكنه استيعاب احكام الحالات الفردية، فالصحيح اذن الاستعاضة عن النصوص القانونية الجامدة بروح النص وترك الحكم مرنا لمراعاة الظرف الزماني والمكاني لكل قضية. ان احدى مشكلات العالم الاسلامي هي النصوص الجامدة، فالدساتير والقوانين التي اخذت عن القوانين الاوروبية ليست متلائمة باي حال مع روح الامة وشخصيتها كما انها ليست ملائمة لهذا الزمن، فقد وضعت قبل مئة عام على الاقل في مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا في كل شيء تقريبا فجاءت منسجمة ومتكيفة معها، اما في بلادنا فقد ترجمت تلك القوانين اعجابا بنصوصها ودون اي مراعاة لاختلاف الظروف بين بلادنا والبلاد الاوروبية.

الخلاصة ان الشريعة الاسلامية تقدم لنا روح القانون ومضمونه وهو ما نسميه بالاحكام العامة او القواعد الشرعية الكلية. ثم يأتي المجتهدون لصياغة احكام فرعية او ما يسمى باللوائح القانونية مستوحين روح التشريع من جهة وناظرين الى الظروف الزمانية والمكانية من جهة اخرى، ولذلك فهذه اللوائح قابلة للتغيير مع تغير الظروف، كما انها تعطي للشخص القائم على التطبيق ـ الذي يفترض انه فقيه ـ تعطيه مجالا واسعاً للاختيار مع المحافظة على المضمون الشرعي لاحكامه. ان تقنين الشريعة بمعنى وضعها في لوائح قانونية ونصوص ملزمة

عامة امر مشكل فلكل زمن، ولكل بلد حاجات من نوع معين وبالتالي فهو يحتاج الى قوانين قد تختلف عن تلك السارية في بلد آخر من حيث الشكل رغم انها جميعا متحدة في المضمون، في كونها جميعاً تستوحي روح النص الشرعي وتعتمد على القواعد الكلية للشريعة.

□ هل نفهم من ذلك ان عدم وجود القانون هو الذي يعطي المرونة للقاضي أو المسؤول أو ولي الأمر؟ ولأنهم غير معصومين فالمفروض وجود قانون اومنهج معين حتى لا يضيع حق الصغير او القاصر الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه، واقناع الآخرين بآرائه فكيف يمكن التوفيق بين المرونة وعدم ضياع الحقوق او الوقوع في الأخطاء؟

■ في الواقع... وبالنسبة لمسألة عدم وجود القانون، فإن هناك قوانين كثيرة موجودة في العالم، ولكن ماذا يمكن لهٰذه القوانين أن تعمل؟

حسب ما أراه فإنه ينبغي ان نقلل من القوانين الحاكمة الموجودة بقدر الإمكان، ونعطي صلاحيات للمنفذين ضمن القوانين العامة.. لكن مع رقابة على القيم. أي أننا يجب أن نعمل ضمن محاور ثلاثة:

١ - نقلل القوانين، مع رفع الأغلال، والقيود. كما كان رسول الله (ص) يفعل في المجتمع الجاهلي حيث (وضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم)، طبعاً هذا بشرط ان لا تحدث الفوضى في الأمة.

٢ - توسيع صلاحيات القضاة وأولياء الأمور المنفذين عموماً ضمن القوانين نفسها.

٣ - تشديد الرقابة عليهم، ومطالبة الأمة بمراقبتهم حتى لا يستفيدوا بشكل خاطىء أو مصلحي من تلك القوانين.

□ هل تعتقدون أن تجربة النظام الاسلامي في ايران قد نجحت، مع ملاحظة أن كثيراً من المراقبين يشيرون إلى تدهور الاقتصاد الايراني بعد الثورة، وتقلص هامش الحريات السياسية، باعتبارها ابرز مقاييس النجاح في أي نظام؟ ثم هل ستعملون على ابداع تجربة جديدة في العراق أم ستعيدون نفس التجربة الايرانية؟

■ **أولاً**: نقل التجربة بتفاصيلها الى أي أرض أخرى، يعتبر نوعاً من السذاجة في التفكير.. الاستفادة من التجربة بلى، نقلها كلا كلا!

ثانياً: حينما نريد أن نقيم هذه التجربة، ونقيم بعض القائمين عليها، فينبغي أن لا نتأثر بالموجة الاعلامية المعادية لها، ويجب أن نضع في اعتبارنا أن هذه التجربة غير محبذة اطلاقاً عند وسائل الاعلام الاستكبارية والدائرة في فلكها.

وكما لا يجب أن نتأثر بالذين ينظرون باعين مغمضة ويغالون في حبها. ويختلقون التبريرات والأعذار لأخطائها، فلا يجب أيضاً أن نتأثر بمن يرفضها بشدة ويحول ايجابياتها الى سلبيات!

ثالثاً: ينبغي أن لاننسى أن هٰذه التجربة تجري في العالم الثالث بتخلفه، وتعقيداته، وأوضاعه السيئة، ولو أنها نشأت في جزيرة منفصلة عن هذا العالم وتاريخه المرير، لأمكن تقييمها بصورة موضوعية، أما وان هٰذه التجربة قد ولدت في عصر التشابك، وعدم الفرز، فلن يكون من السهولة تقييمها بصورة موضوعية.

ولنأخذ مثلاً أقدام الأخوة في الجمهورية الاسلامية بعد مضي سنوات معدودة من انتصار الثورة على تبديل النظام البنكي الربوي، بالنظام البنكي الاسلامية واللاربوي. فقد كان من الممكن أن يقال لماذا بعد سنوات من الانتصار، وليس مباشرة؟ ولكن المفروض أن يكون السؤال معكوساً، أي اننا يجب ان نسأل كيف تجرأ الايرانيون على أن يغيروا النظام البنكي الربوي الى لا ربوي بهذه السرعة. ولما يغيروا بعد النظام البنكي العالمي؟ باعتبار ان النظام المالي في العالم متشابك بشكل وثيق بحيث لا يسمح لتجربة مختلفة عنه ان تنمو لوحدها في هذا العالم.

ونحن نعرف ان الرسول (ص) وبعد سنوات طويلة من تجربته على ارض الجزيرة العربية كان يحارب بجيش جميع مقاتليه ينتمون الى قبائل متعادية بينها كثير من الثارات والعداءات واختلاف المصالح والولاءات، ولم يتمكن من صهر تلك القبائل في مجتمع واحد الاَّ بعد فترة طويلة، ومع ذلك فقد كانت هناك بعض القبائل إبَّان العصر العباسي التي تتمرد على النظام العام بمجرد أن يغير رئيس القبيلة رأيه في السياسة الحاكمة. في حين كان من المفروض وبعد مضي اكثر من قرن من تجربة الرسالة الاسلامية على يد الرسول (ص) أن يشعر كل انسان في المجتمع بأنه ليس مواطناً لذاته أو لقبيلته، وأن اهدافه لا تتحقق عبر القبيلة التي ولد فيها، بل عبر الأمة التي ينتمي اليها. لكن الظروف الجغرافية والديمغرافية أثرت على صفاء تلك التجربة. بل ويمكن ان تؤثر على أي تجربة. كما هو الحال بالنسبة لتجربة الثورة المباركة في ايران.

وفي لبنان ـ مثلاً ـ كان في وقت من الأوقات يتمتع بحرية شبه كاملة، لكن الناس في بعض المناطق التي تحكمها عقلية عشائرية كانوا ينتخبون نوابهم من رؤساء العشيرة. والأمر نفسه كان يتكرر في الكويت وفي اي بلد آخر من بلدان العالم الثالث فوجود الحرية لا يعني أن ممارستها تتم بصورة سليمة وصحيحة، فقد تمارس بصورة خاطئة. وهذا دليل واضح على ان للحرية قطبين يختل احدهما باختلال الآخر: قطب الحاكم، وقطب المحكومين، وهو ما يشير اليه

الامام علي حين يؤكد في حديث له بان الناس ايضا يظلمون الولاة، كما ان الولاة يظلمونهم في احيان اخرى.

وقد حدث هذا الامر بالفعل في عصر الامام، بسبب ان الوالي كان اكثر تقدماً في فهمه وممارسته للحرية من الناس.

اننا لا يمكن ان ننكر وجود اشخاص وممارسات خاطئة، ولكن دعنا عن الأشخاص، والممارسات الفردية، وعن بعض الأخطاء والتبريرات.. دعنا عن كل ذلك، فأنا أعتقد أن الاسلام كنظام وكقانون متطور جداً، ليس فقط حسب اعتقادنا كمسلمين، بل وحتى في نظر العقل، فهو اكثر تقدماً من الممارسات السياسية الشرقية أو الغربية. لا يمكن أن يطبق بشكل كامل في مثل هذا العالم المتشابك والمترابط، بل انك لو اردت أن تطبق نظاماً أقل حضارية من النظام الاسلامي ـ كالنظام الغربي مثلاً ـ في بلد من دول العالم المتخلف (الثالث) لما استطعت!

وأخيراً فإن تجربة النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ايران لما تكتمل بعد، لأن هذه التجربة لا زالت في سكة التكامل في عملية تكامل مستمرة الى أن تستقر على مستوى معين، اقرب ما يكون الى الاسلام الحقيقي والكامل ونأمل ان يتحقق ذلك عاجلاً بأذن الله.

★ ★ ★

تصدير الثورة

□ **الرسميون الايرانيون يفسرون سياسة تصدير الثورة بأنها تصدير النموذج الاسلامي في الحياة والعمل، ودول المنطقة المحيطة بإيران تعتبر ان تصدير الثورة، حتى بهذا التفسير، تدخل في شؤونها الداخلية، كما تدأب وسائل إعلام هٰذه الدول على الاشارة اليه يومياً، فكيف ترون توفيقاً لهذا الوضع بين ما تريده طهران، وما تخشاه هٰذه الدول؟**

■ لا بد ان ندرك ان الانموذج هو الذي يفرض نفسه، وبالذات عندما تكون هناك مناخات خصبة لذلك، فاذا كانت هذه الدول تريد أن تعتبر عودة شعوبها للاصالة الاسلامية ودعوتها الى تطبيق القرآن تدخلاً في شؤونها الداخلية، فلها أن تدعي ذلك بنفس الوقت الذي لا يدين هذا الامر ايران في شيء، فهذه مشكلة دول المنطقة.. فما دامت هناك ضغوط وظلم واستبداد ومصادرة للرأي، فسوف يكون هناك استعداد كامل لتقبل مفاهيم العدل والحرية بل والعمل على تطبيقها وهذا ما يدعو اليه القرآن الكريم.

اضف الى ذلك أن هناك خلافاً في الرأي بين الجماهير المؤمنة، وبين مفاهيم

الاعلام الأجنبي، فالامة الاسلامية أمة واحدة، وأن مصير كل جزء من البلاد الاسلامية مرتبط بسائر الاجزاء. هذا ما نفهمه اما ما تطرحه الحكومات والإعلام الاجنبي فهو أن البلاد الاسلامية أجزاء متفرقة تهيمن عليها حكومات مختلفة مع بعضها، وليس هناك شأن لأية دولة بما يجري في دولة أخرى.

وهذا الاختلاف في الفهم يوسع الدائرة ليشمل التساؤلات التالية:

هل فلسطين قضية المسلمين كافة، أم لا؟

هل الثروات البترولية في بلاد الاسلام ملك المسلمين جميعاً وينبغي أن تستثمر في تحقيق الرفاه للمؤمنين بالله، أم انها حكر لبيوتات حاكمة معينة؟

وهل يجب على المسلمين أن يحاربوا الصهيونية العالمية، حينما تغزو لبنان، أم يترك الامر للبنانيين وحدهم؟

وهل يجب أن يتحمل المسلمون مسؤوليتهم تجاه افغانستان وارتريا وفطاني، أم يجوز لهم أن يتركوا حبل الامور على غاربها، وكل يهتم بوضعه الخاص وضمن حدوده؟

الاسلام يدعو الى وحدة المسلمين ووحدة المصير، وهذا ما تحاول أجهزة الاعلام المعادية اعتباره تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول الاخرى، في حين يكون الامر على العكس تماماً، عندما تسلط أكثر من (٤٠) اذاعة باللغة الفارسية على الشعب المسلم في ايران تدعوه وبشكل منتظم الى نبذ الاسلام والعودة الى جاهلية الشاه المقبور!!

لماذا لا يعني تسويد الصحف الاجنبية بكاريكترات ضد زعماء الثورة الاسلامية في ايران وضد مفاهيم القرآن الكريم تدخلاً في الشؤون الداخلية؟

لماذا لا يعني استقبال حكومة ميتران الاشتراكية لرأس الارهاب، مسعود رجوي ومنحه الحصانة الامنية كي يخطط لعشرات العمليات الارهابية داخل ايران، تدخلاً في الشؤون الداخلية للجمهورية الاسلامية؟

لماذا لا يعني غزو لبنان من قبل الصهاينة، وغزو تشاد من قبل فرنسا، والتهديد بالتدخل في منطقة الخليج، وبناء القواعد وتكثيرها في أراضي الجزيرة

العربية والخليج لاستقبال قوات التدخل السريع، لماذا لا يعتبر كل هذا تدخلاً في الشؤون الداخلية للغير؟!

لماذا حينما تهدد اسرائيل المنطقة وتلوح بعصا «التأديب» يسكت الحكام العرب وعندما تتحدث الاذاعة العربية التي تبث من الجمهورية الاسلامية، عن مبادىء العدل والحرية وضرورة امتلاك القرار الوطني في السيادة على الأرض والثروات وضرب المصالح الاستعمارية، يعتبر هذا القول تدخلاً في الشؤون الداخلية؟!

ان مشكلة الحكام انهم يعتقدون بأن الاسلام ضعيف وانهم دائماً على استعداد لمحاربة الضعفاء، وبذلك يخطئون مرتين، مرة عندما يحاربون الضعيف ويتركون القوي يلعب بمقدراتهم.. ويستعبدهم ويذلهم ويحولهم الى دمى ينفذون أوامره، وهذا لا يزيدهم الا تواضعاً واستلاباً وخضوعاً لمشيئة الاجنبي، والمرة الثانية عندما يتصورون ان الاسلام ضعيف، وان امريكا والدول الاوروبية هي الاقوى في العالم، ان هذا ليس منطق التاريخ.. ذلك انه بالنتيجة لا يحق إلا الحق.. المانيا أيضاً كانت قوية وتهاب الدول جانبها.. أين أمست؟! دول أخرى سادت وبادت ولم تبق منها إلا العبر.. ان القوة لله، والله يهبها للمستضعفين والمحرومين.

ان مشكلة حكام المنطقة انهم لم يقرأوا القرآن ولم يتدبروا آياته الكريمة، ولم يعتبروا بمصير «عاد» و«ثمود» و«أصحاب الايكة» وسائر القوى الطاغية التي كانت قائمة في أرض الجزيرة وأطرافها، لذلك لا يعتبرون بمصير حاكم قوي متجبر، كانت فرائصهم ترتعد منه كالشاه المقبور، كيف سقط وأصبح حديثاً يروى، وحديثاً يتعظ به ولا زلت أتذكر حادثة توضح مدى الخوف الذي كان يتحكم في نفوس حكام المنطقة، وذلك عندما أسست دول الخليج وكالة وسميت وقتها بأسم «وكالة أنباء الخليج العربي» وقتها الشاه غضب وأعلن سخطه على حكام المنطقة فسارع بسحب سفرائه من هذه الدول، فكانت النتيجة ان سارع هؤلاء الحكام ذاتهم الى التراجع وشطب «العربي» لتصبح

«وكالة انباء الخليج».. هؤلاء ذاتهم الذين لم يستطيعوا أن يضيفوا مجرد كلمة على مؤسسة اعلامية لهم.. يأتون اليوم ليرتجزوا ويقولوا لدولة الاسلام.. «هل من مبارز؟» ويجندون وسائلهم الاعلامية والسياسية وثرواتهم الاقتصادية وامكاناتهم العسكرية لمحاربة هذه الدولة الاسلامية. فاذا كانت لديهم كل هذه الامكانات والقدرة على التحكم بهذه الامكانات فلماذا لا يوجهونها لتحرير فلسطين المغتصبة؟ أم ان هناك خطراً آخر؟

ان حكام المنطقة الذين نسوا ذلك الرجل الذي كانوا يهابونه، لا بد أن يتذكروا جيداً ان هذا الرجل انتهى بيد هؤلاء المستضعفين العزل.. وليس هناك ما يمنع أن تكون نتيجتهم هي ذاتها في السقوط بيد مستضعفي بلادهم.

□ الى أي مدى نجحت الثورة الايرانية في تصدير ثورتها الى الخارج..؟ وهل تجد تفسيراً آخر لعملية التصدير هذه، غير ما يقال عنها في المنطقة بأنها محاولة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى؟

■ انني مخالف تماماً لاطلاق اسم الثورة الايرانية، على ما حدث في ايران، ان هذه التسمية محاولة أخرى من محاولات الجهد الاعلامي المعادي للتشويش على هذه الثورة، انها إسلامية، فجرّها شعب مسلم بتوجيهات وتعاليم الشريعة الاسلامية.

بعد هذه المقدمة نأتي لنحدّد معنى التصدير، اذا كان معنى التصدير هو القيام بحملة عسكرية، وإعداد الجيوش للغزو... فأن الجمهورية الاسلامية لم تشأ ان تفعل مثل ذلك، أما اذا كان معنى تصدير الثورة، هو دعوة صريحة الى تحقيق وتكثيف الجهود في مواجهة الأخطار، وفي مواجهة التغريب، أو التغرب عن الاصالة فان الثورة الاسلامية كانت ولا تزال تدعو الى تطبيق

هذه الحقيقة، ويبدو انها نجحت نجاحاً نسبياً في تحقيق هذا الهدف، حيث أثارت الدوافع الكامنة في نفوس الملايين من أبناء الامة الاسلامية.. ليس فقط عبر الوسائل الاعلامية ودعواتها المكررة على لسان قائد الثورة الامام الخميني، وانما أيضاً عبر تحقيق الانموذج المناسب لهذه الدعوة، عبر تحقيق الاستقلال الكامل عن الشرق والغرب، ومقاومة النظام الاستكباري الحاكم في العالم، والمتجسد مثلاً في قانون «الفيتو» بمجلس الامن، أو المتجسد في اخضاع الدول المستضعفة لمجرد الاتفاق بين القوتين العظمين، اخضاعها لسياسات قد تكون مخالفة لسياستها وتطلعاتها. كما نجحت الجمهورية الاسلامية في منح الحرية ضمن حدود الشريعة الاسلامية، وتقاوم الاتجاه اليميني الذي يفسر الاسلام بأنه فاشية وتزمت واستبداد، كما فعل النميري بالامس وهو يدعي تطبيق الشريعة الاسلامية، في الوقت الذي يلغي فيه مجلس الشعب وممارسات الديمقراطية الاخرى.

وكما نجد بعض الدول تدعي الاسلام، لكنها تتهرب عن وضع دستور للبلاد، زعماً بأنها تطبق القرآن!! والهدف في كل ذلك هو التهرب من شرعية القرارات، وبالتالي افساح المجال أمام هؤلاء الحكام كي يعملوا ما شاؤوا.

ونجد كذلك دولاً تدعي الاسلام وتظلم المرأة وتمنع عنها حقوقها المشروعة والمعقولة في الساحة السياسية بصفتها ناخبة أو مرشحة بالمجالس النيابية، في مواجهة هذا الفهم الخاطىء والمتزمت للاسلام نجد الشعب المسلم في ايران يمتلك حرية كاملة في انتخاب ممثليه بمجلس الشورى الاسلامي، وفي انتخاب رئيس الجمهورية الذي يعتبر أعلى سلطة سياسية في البلاد، مضافاً الى منح الشعب حقه بالاستفتاء على شكل النظام والدستور.

من ناحية أخرى نجد الجمهورية الاسلامية تعود الى الاصالة الاسلامية أي الى القرآن الكريم والسنة الشريفة، واحياء التراث المليء بالمفاخر والمآثر والبطولات. اننا نرى ان بلادنا الاسلامية أجبرت على ترك الاسلام وان حنين العودة الى الاصالة الاسلامية لا يزال عميقاً وشاملاً، ولولا الارهاب الفكري

والسياسي الذي يمارس بحق جماهيرنا وبصورة مكثفة من قبل المستكبرين في الارض، لما اختارت الجماهير الا العودة الى اصالتها، وتجاوز حالة التغرب والتبعية.

فاذا كانت الثورة الاسلامية المنتصرة في ايران قابلة للتصدير فأنما بهذه الدعوة وبهذه المثل وبخلق الانموذج الاسلامي، وليس بالسلاح أو التهديد أو الابتزاز كما تدعي أجهزة الاعلام الاجنبية.

* * *

هوامش الكتاب

(١) انتهى الحكم الهاشمي في العراق سنة ١٩٥٨ بعد انقلاب عسكري على الملك فيصل حيث قتل فيه.

(٢) **آية الله السيد حسن الشيرازي:** ولد عام ١٩٣٧ م ودرس على أيدي كبار العلماء منهم والده آية الله السيد مهدي الشيرازي (قـدس). تعرض الشهيد الشيرازي بسبب نشاطه مع أخيه آية الله السيد محمد الشيرازي الى الاعتقال في العراق من أوائل شهر ربيع الأول ١٣٨٩ هـ وهو بذلك أول عالم دين في العراق يقف في وجه النظام البعثي ويعارضه بصراحة. ولاقى الشهيد الشيرازي أشد انواع التعذيب.

هاجر الى لبنان عام ١٩٦٩ م، في ٢ مايو ١٩٨٠ وبينما كان الشهيد الشيرازي متوجهاً الى مجلس الفاتحة على روح آية الله الشهيد الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدى اعترضت طريقه ثلاث سيارات راحت تمطر الشهيد الشيرازي برصاص حاقد سقط على أثرها مضرجاً بدمه شهيداً وشاهداً رحمة الله عليه.

(٣) **الشيخ عبدالعزيز البدري:** أحد علماء السنة البارزين الذين عارضوا حزب البعث الكافر في العراق واستشهد تحت التعذيب في سجون بغداد عام ١٩٦٩ م.

(٤) **آية الله السيد محسن الحكيم:** زعيم الحوزة العلميـة ومرجـع عصره في العراق. ولد في النجف الاشرف ١٣٠٦ هـ وأصدر فتواه الشهيرة بكفر الشيوعية عام ١٩٥٩ م. توفي ١٣٩٠ هـ. ومن ابرز مؤلفاته: مستمسك العروة الوثقى.

(٥) **الشيخ عارف البصري:** احد علماء الدين المجاهـديـن استشهـد عـام ١٩٧٥ م مع كوكبة من المؤمنين الدعاة وهم: السيد عز الدين القبانجي، السيد نوري طعمه، السيد عماد التبريزي، وحسن جلوخان بعد أن

قضوا ردحاً من الزمن تحت التعذيب في سجون السلطة.

(٦) سورة يونس / آية ٥٩.

(٧) جريدة السفير، ٢٣/١/٨٨، بيروت.

(٨) سورة الحجرات / آية ١٣.

(٩) سورة الأنفال / آية ٦٣.

(١٠) سورة الرعد / آية ١١.

(١١) سورة النجم / آية ٣٩.

(١٢) **الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي:** من المرجعيات الدينية النافذة، تولى المرجعية العليا بعد وفاة سلفه السيد اليزدي عام ١٩١٩ م وهو القائد والموجّه الفعلي لثورة العشرين الكبرى ضد الانجليز عام ١٩٢٠ حيث أصدر فتواه بوجوب قتال الانجليز.

وبينما ثورة العشريـن في قمـة نجاحهـا، تـوفي زعيمهـا الشيـخ الميرزا الشيرازي في ٣ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ - ١٧ آب ١٩٢٠ م.

(١٣) **الميرزا السيد حسن الشيرازي:** ولد في شيراز ١٢٣٠ هـ وهو على رفعة شأنه في العلم يوصف بأنه مجدد الاحكام وأن عقله السياسي كان محيراً للسياسيين وأن أهل العلم والسلاطين يرجعون إليه.

ولما منح ملك ايران ناصر الدين شاه امتيازاً لشركة انجليزية بزراعة وبيع وتصدير التبغ الايراني لمدة خمسين سنة من ١٨٦٠ أصدر السيد الشيرازي فتواه المشهورة بحرمة استعمال التبغ بكل اشكال الاستعمال، فاندلعت الانتفاضة التي أرغمت الشاه على إلغاء الامتياز، وسمي هذا الحدث بثورة التنباك.

وللسيد الشيرازي مواقف سياسية وجهادية كثيرة في العراق وايران. توفي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ.

(١٤) **الشيخ محمد كاظم الآخوند:** ولد في مدينة مشهد بايران ودرس فيها وفي طهران ثم توجه إلى النجف ابتداءً من ١٢٨٨ هـ وأصبح المرجع

الاول في النجف وتخرج على يده المئات. دعا الى الحكم الدستوري النيابي في البلاد الاسلامية التي كان يسودها الاستبداد المطلق، ودعم بنفوذه طلاب الحرية في ايران حتى استطاعوا التغلب على الشاه محمد علي القاجاري وأعلن الدستور والحياة النيابية.

توفي في ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩ هـ بينما كان يستعد هو ومجموعة من العلماء للسفر من العراق لمقاومة الزحف الروسي على ايران.

(١٥) **الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء**: ولد عام ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م وهو أحد زعماء الثورات الاسلامية في العراق ومن ابرز الدعاة الى الوفاق بين المسلمين. إنتهت إليه الرئاسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه أحمد بن علي. وكان من اعضاء المؤتمر الاسلامي في القدس سنة ١٣٥٠ هـ. توفي في ايران ونقل الى النجف عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

(١٦) سورة المائدة / آية ٢٤.

(١٧) سورة الانفال / آية ٦٤.

(١٨) الحديث رقم ٢٢٤٦٨، ميزان الحكمة، ج ١٠.

(١٩) سورة الرعد / آية ١١.

(٢٠) **جمال الدين الأسد آبادي**: مشهور بجمال الدين الافغاني، ولد في شعبان ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م من بلدة أسد آباد من توابع همذان بايران.

وهو كاتب وخطيب ومصلح ديني واجتماعي وسياسي وداعية لتحرر المسلمين من الاستعمار والتدخل الاجنبي، كما دعا الى الوحدة الاسلامية. وله عدة رحلات شهيرة منها: رحلته الى القاهرة وباريس التي أصدر فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده مجلة العروة الوثقى. توفي في اسطنبول عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م.

(٢١) **عمر المختار**: أشهر ابطال الجهاد في ليبيا والقيام فيها على الايطاليين

المستعمرين. ولد في برقة سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م. قاوم الاحتلال الايطالي وبعد أن احتلوا مدينة بنغازي عام ١٣٢٩ هـ اتفق رؤساء القبائل على أن يكون عمر المختار القائد العام للمجاهدين. خاض ضد الايطاليين ٢٦٣ هجوماً خلال ٢٠ شهراً الى أن وقع في الاسر واستشهد شنقاً في قرية «سلوق» ببنغازي سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.

(٢٢) سورة الانبياء / آية ٩٢.

(٢٣) سورة محمد / آية ٧.

(٢٤) سورة آل عمران / آية ١٦٠.

(٢٥) **سمير نور علي**: قائد عملية جامعة المستنصرية بتاريخ ١٩٨٠/٤/٤ م.

(٢٦) **أبو فداء**: احد ابطال حركة المجاهدين العراقيين، استشهد في عملية استشهادية في قلب العاصمة بغداد.

(٢٧) **ابراهيم سلمان**: قائد عملية الهجوم الانتحاري على مديرية الأمن العامة استشهد فيها عام ١٩٨٣ م.

(٢٨) و (٢٩) سورة الشمس / الآيات ٧ - ١٥.

(٣٠) **الشهيد الصدر**: من كبار علماء الشيعة ومراجعهم، مفكر معروف استشهد تحت التعذيب الوحشي في سجون السلطة. من مؤلفاته المشهورة: فلسفتنا، اقتصادنا، الاسس المنطقية للاستقراء، وغيرها.

(٣١) سورة الانعام / آية ٦٥.

(٣٢) هانوي: عاصمة فيتنام اشتهرت بالصمود امام القصف الوحشي للطائرات الامريكية خلال الحرب.

(٣٣) سورة التوبة / آية ١٢٣.

(٣٤) سورة فاطر / آية ٤١.

(٣٥) سورة آل عمران / آية ١٧٨.

(٣٦) سورة فاطر / آية ٤٢ .

(٣٧) سورة المائدة / آية ٣٢ .

(٣٨) سورة الانفال / آية ٢٤ .

(٣٩) سورة الزمر / الآيتان ١٧ - ١٨ .

(٤٠) سورة الشعراء / الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٤١) غرر الحكم للآمدي، حديث للإمام علي.

(٤٢) حديث للإمام علي، نهج البلاغة، كتاب الخطب، الخطبة الأولى.

(٤٣) سورة الأعراف / الآية ١٥٧ .

(٤٤) سورة لقمان / آية ٢٠ .

(٤٥) سورة الزخرف / آية ٢٢ .

(٤٦) شرح رسالة الحقوق، سيد حسن القبانجي، ص ٥٩١، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

(٤٧) سورة الرحمن / آية ٣٣ .

(٤٨) نهج البلاغة، كتاب الخطب، الخطبة الأولى.

(٤٩) معالم التوحيد في القرآن الكريم، ص ١٩.

(٥٠) **الشيخ محمد عبده:** ولد في مصر عام ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م ودرس في الجامع الاحدي بطنطا ثم في الازهر وعمل في التعليم وكتب في الصحف وتولى تحرير جريدة الوقائع المصرية، أتقن الفرنسية وناصر ثورة عرابي وبعد فشلها سجن ٣ أشهر للتحقيق عام ١٢٩٩ هـ - ١٨٨١ م، ثم نفي الى بيروت، وسافر الى باريس فأصدر مع استاذه السيد جمال الدين الافغاني «العروة الوثقى». وبعد انتهاء مدة نفيه عاد الى مصر ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م واشتغل بالقضاء ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف فمفتياً للديار المصرية ١٣١٧ هـ، الى أن توفي بالاسكندرية ودفن بالقاهرة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م.

(٥١) سورة الاسراء / آية ٢٠.

(٥٢) سورة العنكبوت / آية ٤١ .

(٥٣) سورة العاديات / الآيات ١ - ٥ .

(٥٤) سورة هود / آية ١١٣ .

(٥٥) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٧٦، باب مناقب جعفر بن ابي طالب.

(٥٦) سورة آل عمران / الآيتان ١٦٩ - ١٧٠

(٥٧) الحديث ٤٢٩٤، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٥١٠ .

(٥٨) الفقه الاقتصاد، آية الله الشيرازي، ص ١١٥ .

(٥٩) الحديث ١٤١١٦، ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٧٩ .

(٦٠) سورة المائدة / آية ١ .

(٦١) سورة النساء / آية ٥ .

★ ★ ★

الفهرس

مقدمة .... صفحة ٣

الباب الأول: العراق: الواقع، المعارضة، والتحديات ١٣

البديل ١٤

التحديات ٢١

كيف يسقط النظام ٢٦

المسألة الكردية ٣٧

المعارضة: حدود الخلاف ٤١

المجلس الأعلى ٥٣

حكومة منفى؟ ٥٧

قيادة الجهاد ٦٠

طريق النصر ٦٧

واقع العراق ٧٤

التقصير ٨٠

الحرب العراقية الايرانية ٨٨

الباب الثاني: ثقافة الحركة الاسلامية ١٠١

جذور التخلف ١٠٣

النهوض الحضاري ١١٥

نحن والغرب: حوار أم قطيعة؟! ١٢٣

سلفية وتقليد ١٣٠

مذاهب جديدة؟ ١٤١

الباب الثالث: الحركة الاسلامية: اتجاهات الصراع ١٤٥

النهضة الاسلامية ١٤٦

العمليات الاستشهادية ١٥٧

تجربة الثورة الاسلامية في ايران ١٧٩

تصدير الثورة ١٨٦

هوامش الكتاب ١٩٢

* * *